الدَّلالَةُ الدَّعويَّةُ
فِي فُتُورِ الوَحْيِ عَنْ سَيِّدِ البَرِيَّة

صلى الله عليه وسلم

بِقَلَمْ الدكتُور
أحمَد مُحمد عبد القَادِر عبد الغَني
الأُسْتَاذُ المُسَاعِدُ فِي قسم الثقافة الإسلامية
كُليةِ الدَّعوةِ الإِسْلاَمِيَة بالقَاهِرة
جَامِعَة الأَزْهَر

ملخـــص البحـــث

عنوان البحث

الدَّلاَلَةُ الدَّعَوِيَّةُ فِي فُتُورِ الوَحْيِ عَنْ سَيِّدِ البَرِيَّة ﷺ

. تناول هذا البحث . بعون الله تعالى . بعد التعريف بمصطلحاته، الفرق بين فتور الوحي في أوج بعثته ﷺ، وقُبيل وفاته، حيث كان يَقْوَى ويتتابع، لحاجة الناس إلى الإجابة عن أسئلتهم واستفساراتهم .

. كما تناول البحث أيضاً التهيؤ لتلقي الوحي، فكانت الخُلوة في غار حراء للتفكر والتأمل، وخلو القلب من كل مشاغل الدُّنيا وملوثات الجاهلية، من الأصنام وعبدتها وسدنتها، والتقرب للواحد الديَّان، حتى مَنَّ الله عليه بالوحي، فتلقاه فقط عن طريق جبريل عليه السلام، فالقرآن الكريم ليس وحيًا مناميًّا، أو من وراء حجاب .

. ثم تناول البحث نماذج من فتور الوحي ودلالتها الدعوية، وذلك في فتور الوحي بين "اقرأ" و "المدثر"، وكذا عند نزول سورة "الضحى"، وكذا في نموذجين عظيمين في سورة "الكهف"، وسورة "النور"، ولكل من تلك النماذج دلالتها، والعبرة منها .

. كما تناول البحث الرد على بعض الشبهات حول فتور الوحي، كالزعم بفقدان النبي ﷺ للوعي وقت نزول الوحي وبعده، وكذا الزعم بمحاولة النبي ﷺ التردي من أعالي الجبال لفتور الوحي وتأخره، وظهر من خلال الرد أنها شبهة لا سند لها، وأنها مُغرضة، تهدف إلى زعزعة العقيدة، والنيل من الوحي القرآني، كما ثبت من الرد كذلك كذب تلك الادعاءات وبطلانها .

ثم كانت الخاتمة: وفيها نتائج البحث وتوصيات الباحث .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل:::

The Significance of the Revelation Cessation on the Prophet (Peace be upon him)

Research Outline

After defining its terms; this research examines the difference of the cessation of revelation at the beginning of the prophet's mission and ahead of his death, peace be upon him, during which the revelation was descending gradually to answer people's questions and inquiries.

This paper, as well, shows the readiness of the prophet to receive the divine revelation; when he peace be upon him began spending many hours alone in Mountain Hira to speculate and mediate, trying to isolate himself away from all the worldly concerns and withdraw himself from all the poisonous traits of the pre-Islamic period of idolatry, approaching the One and the Ruler of the Reckoning Day; till Allah blessed him by descending the revelation. Therefor; the Qur'an wasn't revealed visionary or from behind a partition but it was verbally revealed from Allah through the angel Gabriel.

This thesis discusses the significance of the cessation of revelation and represents some samples during which the revelation was ceased for a while as in between the revelation of Surah Iqra' and Surah Al-Mudather, as well during the revelation of Surah Al-Doha, Al-Kahf and Al-Noor.

Afterwards, the research defies some allegations regarding the period during which the revelation was ceased, such claiming that the prophet, peace be upon him, lost consciousness during and after the time of revelation; as well the saying states that the prophet contemplated suicide as he tried to throw himself from the top of high mountains when the revelation was ceased. As shown; the refutations strongly prove these allegations to be unreliable and malicious, aiming to destabilize the Doctrine of Faith and undermine the Qur'anic revelation.

Thereafter, the conclusion reviews the research results and the recommendations of the researcher.

May Allah Bless and Guide us to the Straight Bath ….

Dr. Ahmed Muhammed Abd El Qader Abd El Ghany

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأُمي، الطاهر الزكي، وعلى آله وأصحابه أجمعين ... **وبعـــد**؛؛؛

فإنه لما أراد الله ﷻ للبشرية الخير والهدى والرشاد، بعد عصور حالكة بظلمات الشرك والوثَنية، والتخبط هنا وهناك؛ كان الاختيار الأمثل للنبي الأكمل ﷺ ليحمل مِشْعَلَ الهُدى والرَّشاد والرحمة إلى الناس أجمعين .

فاختاره الله، ونقَّاه وصفَّاه، واصطفاه، وهيأه منذ ولادته لتحمل ما اختاره من أجله، فحصَّنه منذ صغره، وأبعده عن كل ملوثات الجاهلية .

فحبب الله له الخلاء للتأمل والتفكر ، ليسبح بعقله وروحه في هذا الملكوت الفسيح، بعيداً عن الصخب واللهو، والأصنام وعبدتها وسدنتها، وليتفرد بالواحد الديان .

فهيأه الله حتى سمت نفسه، وصفت روحه ليكون أهلاً لتلقي رسالة الله الخالدة إلى الإنسانية جمعاء، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفي كل ذلك كانت السيدة خديجة . رضي الله عنها . السيدة الأُولى التي تحمَّلت عِبء الوحي وثقله، واحتضنت الرسالة وصاحبها، وواست، وآست، وطمأنت، وبشَّرت، وأزالت كل مسببات الفزع والخوف .

فاطمأن خاطر صاحب الرسالة، وهدأت نفسه، واستقبل وحي ربه بكل الطمأنينة والرضى .

فأنِس هذا البيت بالوحي، وبضيافة جبريل عليه السلام، فازدان البيت بالوحي، وأنار القرآن أركانه، فكان بيتها أول بيت تحل فيه بركة القرآن، وتحفه ملائك الرحمن، فإذا ما أحست بشيء من الفتور ، كان يصيبها القلق والاضطراب وتُبادر

بالسؤال توجعاً وتوجساً من هذا الفتور وذلك الإبطاء، فلا تريد لهذه الفرحة التي دَبَّت في بيتها أن تتوقف، ولا لهذا الإشراق أن يَفْتُر، فينزل القرآن مطمئناً ومؤكداً بالقسم على عدم ترك الله له﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾[1]، كما حفل القرآن بمواطن أُخرى فَتُر فيها الوحي مما آثار شجوني، وتساؤلاتي حول هذا الفتور .

ولماذا كان .....؟ وهلا تتابع الوحي بلا فتور ....؟

وهل لذلك من دلالة..؟ وما الرد على ما يُثار من شبهات حول ذلك ....؟

كل تلك التساؤلات، وغيرها، وقرت في نفسي فأردت البحث عن إجابة عنها من خلال هذا البحث والذي أسميته: (**الدَّلالَة الدَّعَويَّة فِي فُتُورِ الوَحْيِ عَنْ سَيِّدِ البَرِيَّة** ﷺ) .

وهنا تكمن أهمية البحث في الإجابة على تلك التساؤلات واستخراج الدلالة الدعوية من ورائها، فما أنزل الله وحيه إلا لحكمة، وما حجبه إلى لحكمة، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ۝٦٤ ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[3].

الدراســات السابقــة:

على حد علمي لم أعثر على دراسة وافية وشافية في موضوع البحث، وما وجدته ما كان إلا عبارة عن معلوماتٍ ومروياتٍ متناثرة في ثنايا كُتب التفسير أو الحديث، أو السيرة النبوية المطهرة، لكن لم يُفْرِد أحدٌ لهذا الموضوع بحثاً متكاملاً، أو مستقلاً .

---

(١) سورة الضحى، الآيات (١ ـ ٣) .

(٢) سورة مريم، الآية (٦٤) .

(٣) سورة النجم، الآيتان (٣، ٤) .

منهـج البحـــث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي "وهو يعتني بتوثيق الأخبار والمرويات والآثار التاريخية في ضوء منهج النقد والتحليل التاريخي" [١]، وكذا المنهج الوصفي "ومهمته تحديد سمات وخصائص الموضوع أو الظاهرة محل الدراسة مع التحليل والنقد" [٢] .

فبعد تحديد الموضوع محل البحث وهو: (**الدَّلاَلَةُ الدَّعَوِيَّةُ فِي فُتُورِ الوَحْيِ عَنْ سَيِّدِ البَرِيَّة** ﷺ) قمت بالبحث عن مواطن ذلك الفتور في القرآن الكريم، وجمع الآثار والمرويات حوله، والنظر فيها، ومقابلتها، وتحليلها، لاستخراج الدلالة الدعوية منها .

خطـة البحـث:

اشتمل هذا البحث . بعون الله تعالى . على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

المقدمة: وفيها دوافع اختياري لهذا الموضوع، وأهميته، ومنهجي للبحث فيه .

أما التمهيد: فقد تَضمن بيان النقاط التالية:

أولاً: البيان اللغوي لكلمة (الدلالة) .

ثانياً: التعريف بالوحي .

ثالثاً: المقصود بفتور الوحي .

رابعاً: هل فَتُر الوحي قُبيل وفاته ﷺ .

---

(١) انظر كتاب: مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د/ حلمي عبد المنعم صابر، ص ١٠٤، طبع: إيجبت ستار للطباعة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

(٢) المرجع نفسه والصفحة والطبعة .

أما المباحث الثلاثة فجاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: **تحنث النبي ﷺ وبدء الوحي وصوره** .

واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تحنثُ النبي ﷺ في الغار .

المطلب الثاني: بدءُ الوحي وصُوره .

المبحث الثاني: **نماذج من فتور الوحي عن النبي ﷺ ودلالتها الدعوية** .

واشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: فتور الوحي بين (اقرأ) و (المدثر) ودلالته الدعوية .

المطلب الثاني: فتور الوحي عند نزول سورة الضحى ودلالته الدعوية.

المطلب الثالث: نموذج من فتور الوحي في سورة الكهف ودلالته الدعوية.

المطلب الرابع: نموذج من فتور الوحي في سورة النور ودلالته الدعوية.

المبحث الثالث: **شبهات حول فتور الوحي وصوره والرد عليها** .

وسأكتفي في هذا المبحث بشبهتين:

الشبهة الأُولى: الزعم بفقدان النبي ﷺ للوعي وقت نزول الوحي وبعده.

الشبهة الثانية: الزعم بمحاولة النبي ﷺ التردي من أعالي الجبال لفتور الوحي وتأخره .

أما الخاتمة: ففيها نتائج البحث، وتوصيات الباحث .

وأسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وأن يتغمد برحمته آباءنا وأمهاتنا، ويبارك لنا في أولادنا وذُرِيَّاتِنَا، وأن يَشفي أمراضنا، ويجعل لنا من كل هَمٍّ فرجاً، ومن كل ضِيقٍ مَخْرَجاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

دكتور

أحمد محمد عبد القادر عبد الغني

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

فجر الجمعة: ١٨ رجب ١٤٤١هـ ١٣ مارس ٢٠٢٠م

التمهيـــد

وفيه أتناول بمشيئة الله تعالى بيان النقاط التالية:

أولاً: البيان اللغوي لكلمة (الدلالة) .

ثانياً: التعريف بالوحـي .

ثالثاً: المقصود بفتور الوحـي .

رابعاً: هل فتر الوحي قُبيل وفاته ﷺ .

أولاً: البيان اللغوي لكلمة (الدلالـة):

جاء في لسان العرب قول العلامة ابن منظور في معاني هذه الكلمة: (الدليل ما يُستدل به، والدَّليل: الدَّالُّ، وقد دله على الطريق يَدُلُّهُ دَلالة، ودِلالة، ودُلولة، والفتح أعلى .

وأنشد أبو عبيد: أني امرؤُ بالطُّرق ذو دَلالات

والدَّليل، والدِّلِّيلي الذي يدلك، والجمع أدلَّة وأدِلاَّء، والاسم الدِّلالة، والدَّلالة بالكسر والفتح والدُّلُولة .

ودللت بهذا الطريق: عرفته، ودّلَلْتُ به أدُلُّ دَلالة، وأدْلَلت بالطريق إدلالاً، والدَّلِيلة المحجة البيضاء، وهي الدَّليَّ، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [1] قيل معناه تنقصه قليلاً قليلاً .

وجاء في الشعر:

أظن الحلم دلَّ عليّ قومي وقد يُستجهل الرجل الحليم [2]

وجاء في مختار الصحاح: "الدليل ما يُستدل به، والدليل الدال أيضاً وقد دله

---

(1) سورة الفرقان، الآية (٤٥) .

(2) لسان العرب، العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ج١١ ص٢٤٧ وما بعدها من صفحات بتصرف كثير، دار صادر، بيروت، لبنان، دون تاريخ طبع .

على الطريق يدُله بالضم دَلالة بالفتح وكسرها ودُله بالضم والفتح أعلى" [١].

وجاء في المعجم الوسيط: "دَلَّ عليه وإليه دِلالة أرشد، ويقال دَلَّهُ على الطريق ونحوه سدَّده إليه، فهو دالٌّ، والمفعول مدلول عليه وإليه، الدَّلالة الإرشاد، وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه جمع دلائل ودلالات، والدِّلالة والدَّلالة اسم لعمل الدَّلال وما جُعل للدليل أو الدَّلاَّل من الأُجرة" [٢] .

فيُؤخذ من هذه المعاني اللغوية أن كلمة [الدلالة] لها معان متعددة، أو حسب ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه كما جاء في المعجم الوسيط .

وتنطق بالكسر والفتح، والفتح أعلى كما ورد في لسان العرب ومختار الصِّحاح .

وعليه فالمقصود بها هنا في هذا المصطلح البحثي (**الدَّلالَةُ الدَّعَوِيَّةُ فِي فُتُورِ الوَحْيِ عَنْ سَيِّدِ البَرِيَّة ﷺ**)، أي العبرة الدعوية، أو الإرشاد الدعوي لما في فتور الوحي من حِكَمٍ ودلالات يقف عليها الدعاة لتبصير الناس بالوحي وحكمة نزوله وفتوره، وأنه حقاً من عند الله، وليس لبشر دخل فيه، وصد ما يثار من شبهات حول هذا الموضوع بعلم وبصيرة، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [٣].

---

(١) مختار الصِّحاح، الإمام/ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ص ٣٩٤، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، دون تاريخ طبع .

(٢) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، أشرف على جمعه: إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، وأحمد حسن الزيات، ومحمد علي النجار، ج١ ص٢٩٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، المكتبة العلمية، طهران، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، بدون تاريخ طبع .

(٣) سورة يوسف، الآية (١٠٨) .

ثانياً: التعريـف بالوحـــي:

وردت كلمة "وحي" ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة [١].

وجاء في لسان العرب في مادة [وَحَيَ]: "الوحي الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما القيته إلى غيرك يقال وحيت إليه الكلام، وأوحيت، وَوَحَي وحيًّا وأوحى أيضاً أي كتب .

والوحي: المكتوب والكتاب أيضاً، وعلى ذلك جمعوا فقالوا وحيٌّ مثل حَلْيٍ وحُليٍّ.

وأوحي إليه ألهمة، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [٢]، وفيه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾ [٣] أي إليها، فمعنى هذا أمرها، وَوَحَي في هذا المعنى، ووَحَى إليه وأوحى: أومأ، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ ﴾ [٤]، وقال

فأوحت إلينا والأنامل رُسُلُها

وقال الفراء في قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾ أي أشار إليهم، والوحي ما يوحيه الله إلى أنبيائه .

قال ابن إسحاق: "وأصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يُسمى وحياً، قال الأزهري وكذلك الإشارة والإيماء يُسمى وحياً، والكتابة تُسمى وحياً، وقال الله ﷻ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، مادة [و ح ي]، ص ٧٤٦ وما بعدها، طبع المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا، سنة ١٩٨٤م .

(٢) سورة النحل، الآية (٦٨) .

(٣) سورة الزلزلة، الآية (٥) .

(٤) سورة مريم، الآية (١١) .

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [1] معناه: إلا أن يُوحي إليه وحياً فيعلمه بما يعلم البشر أنه أعلمه إما إلهاماً، أو رؤيا، وإما أن ينزل عليه كتاباً كما أنزل على موسى، أو قرآناً يُتلى عليه كما أنزله على سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وكل هذا إعلام وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها" [2] .

وجاء في المعجم الوسيط: (وَحَى إليه وله يَحِي وَحْيًا أشار وأومأ، وكَلَّمه بكلام يخفى على غيره. وكتب إليه وأمره والله إليه أرسل ... والوحي كل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه وما يوحيه الله إلى أنبيائه) [3] .

فيُؤخذ من هذه المعاني اللُّغوية لكلمة وَحَي معنى الخفاء، والسرعة، والإلهام، والإيماء، والإشارة، والإعلام بواسطة أو من غير واسطة يُهيئ الله له من يشاء من عباده، ليتحملوا ثقل الوحي وضراوته، وليتواصلوا به بين عباده مُبلِّغين ما أُمروا به من قبل الله تعالى، متحملين بسبب ذلك الإيحاءات والتصريحات المغرضة بالجنون، والسحر، والكهانة وغيرها ممن لا يدركون ثقل الوحي ولا يقدرون تبعاته، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [4] .

أما في الاصطلاح: فكما جاء في [الإتقان] أن: "الوحي ما يُوحي الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلم به، ويكتبه، وهو كلام الله، ومنه ما لا يتكلم به، ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابته، ولكنه يُحدث به النَّاس حديثاً ويْبين

(١) سورة الشورى، الآية (٥١) .
(٢) لسان العرب، للإمام العلامة: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، مادة [وَحَي]، جزء (١٥) ص٣٧٩ وما بعدها، طبع: دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ طبع .
(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، أشرف علي جمعه: إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، وأحمد حسن الزيات، ومحمد علي النجار، مادة [وحي]، الجزء الثاني، ص ١٠٢٩ وما بعدها، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية، طهران، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، بدون تاريخ طبع .
(٤) سورة المزمل، الآية (٥) .

لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه" (١) .

وجاء في فتح الباري أنه أي الوحي: "الإعلام بالشرع، وَقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه، أي المُوحَى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ" (٢) .

والوحي بالمعنى المصدري اصطلاحاً: "هو إعلام الله تعالى من يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفيه سريعة" (٣) .

فالوحي إذن هو إعلام من الله تعالى في سرعة وخفاء لمن يختاره من عباده بعد تأهيل وصقل لهذا العبد المُوحى إليه ليستطيع تحمل وحي الله تعالى، ويكون أميناً على تبليغه؛ هذا والوحي يمكن أن يكون بواسطة أو دونها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (٤) .

"وليس ببعيد على الله تعالى أن يختار من عباده نفوساً لها من نقاء الجوهر وسلامة الفطرة ما يعدها للفيض الإلهي، والوحي السماوي، والاتصال بالملأ الأعلى، ليلقى إليها برسالاته التي تسد حاجة البشر في رُقي وجدانه وسمو أخلاقه، واستقامة نظامه، وهؤلاء هم رُسُله وأنبياؤه" (٥) .

---

(١) انظر كتاب: الإتقان في علوم القرآن، شيخ الإسلام: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الجزء الأول ص٥٩، طبع: دار عالم المعرفة، بدون تاريخ طبع .

(٢) انظر كتاب: فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محيي الدين الخطيب، ترقيم أبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه: قصي محيي الدين الخطيب، جزء (١) ص١٥، طبع: دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م .

(٣) انظر كتاب: مباحث في علوم القرآن، الأستاذ/ مناع خليل القطان، ص ٢٧، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

(٤) سورة الشورى، الآية (٥١) .

(٥) كتاب [مباحث في علوم القرآن]، الأستاذ/ مناع القطان، ص ٢٤، الطبعة السابقة .

صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين. ما تأخروا في تحمل الوحي، وما قصروا في بلاغه وبيانه، صابرين محتسبين على إيذاء أقوامهم، مؤملين في هدايتهم أو نصر الله لهم.

ثالثاً: المقصـود بفتـور الوحـي:

جاء في لسان العرب في مادة [فَتَر]: "الفَترة الانكسار والضعف، وفتر الشيء والحرُّ، وفلان يفتُر ويفتر فتوراً وفُتاراً سَكَنَ بعد حدَّة، وَلِاَن بعد شِدَّة. وفتَّر أي أقام وسكن، وفتَّر مَطَر، وفرغ ماؤه وكف، والفتر الضعف، وفتر جسمه يفتر فتوراً لانت مفاصله وضعف، ويقال أجد في نفسي فترة وهي كالضعفة ... وأفتره الداء أضعفه، وكذلك أفتره السُّكر، وماء فاتر بين الحار والبارد، وفتر الماء سكن حره، وماء فاتور: فاتر، وطرف فاتر فيه فتور ... وأفتر الرجل فهو مُفْتَر إذا ضعفت جفونه فانكسر طَرْفه، والفَتْرة ما بين كل نبيين" (١) .

فيُؤخذ من هذه المعاني اللُّغوية: أن الفتور معناه: السكون والضعف، وهو أمر يعتري الشيء بعد قوته وحركته، لكن لا يصل به إلى الانتهاء التام، كالماء الفَاتر يكون بين مرحلتي الحار والبارد، وكالمدة من الزمن تكون بين رسولين .

وعليه فالمقصود [بفتُور الوحي]: سكونه مدة من الزمن . للحكمة من ذلك دون أن يصل إلى انقطاع تام، ولذا انسجمت المعاني اللغوية مع ما أورده شراح الحديث في معنى فتور الوحي عن النبي ﷺ كما سيرد في الأسطر القليلة القادمة بإذن الله تعالى .

ويُورد الإمام البخاري حديثاً في فتور الوحي وتتابعه ﴿ قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من

(١) [لسان العرب]، لابن منظور، مادة [فَتَر]، ج٥ ص ٤٣، الطبعة السابقة .

السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءَني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرُعبت منه فرجَعت فقلت زملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ فحمي الوحي وتتابع ﴾ [١] .

يقول الإمام ابن حجر في تعليقه على معنى الفتور في الحديث: "وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع وليحصل له التشوق إلى العود" [٢] .

وقوله "فحمي الوحي" أي جاء كثيراً وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفتور إذ لم ينته إلى انقطاع كُلي فيوصف بالضد وهو البرد .

قوله "وتتابع" تأكيد معنوي، ويحتمل أن يراد بحَمِي قوي، وتتابع تكاثر، وقدم رواية الكشميهني وأبى الوقت "وتواتر" مجيئ الشيء يتلو بعضه بعضاً من غير تخلل" [٣] .

وفي السياق ذاته يعلق على حديث الإمام البخاري: ﴿ عن جُنْدَبَ بن سفيان ﷺ قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ ﴾ [٤] .

فيقول الإمام ابن حجر: "ووجه إيراده في هذا الباب؛ الإشارة إلى أن تأخير النزول أحياناً إنما كان يقع لحكمة تقتضي ذلك لا لقصد تركه أصلاً فكان

---

(١) صحيح الإمام البخاري بحاشية السِّندي، للعلامة: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، باب: كيف كان بدء الوحي، الجزء الأول، ص ٧، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلي وشركاه، بدون تاريخ طبع، والآيات أول سورة المدثر من [١ . ٥] .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء الأول، ص ٣٦، الطبعة السابقة .

(٣) المرجع السابق نفسه والجزء، ص ٣٨ والطبعة .

(٤) صحيح الإمام البخاري بحاشية السِّندي، كتاب: التفسير، سورة "والضحى"، ج٣ ص ٢١٧، والآيات أول سورة: والضحى من [١ . ٣] .

نزوله على أنحاء شتى تارة يتتابع، وتارة يتراخى، وفي إنزاله مُفرَّقاً وجوه من الحكمة" [١] .

فيؤخذ مما سبق أن معنى فتور الوحي ليس انقطاعاً كلياً عن رسول الله ﷺ، بل هو مجرد تأخيرُ نزولٍ لحكمته تعالى في ذلك، ومن هنا كان مُسَمَّى البحث (**الدلالة الدعوية في فتور الوحي**) وليس (انقطاع الوحي) فرسول الله ﷺ لم تنقطع صلته بربه أبداً حتى قبل بعثته كان محاطاً بالعناية والرعاية الربانية، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [٢] .

والمقصود بالوحي وفتوره هنا هو وحي (القرآن الكريم) على عكس الأنواع الأُخرى من الوحي كالإلهامات، أو الرؤى المنامية أو غيرها فلم يرد فيها شيء من ذلك .

هذا ... وقد تراوحت المدد التي كان يفتر فيها الوحي عن رسول الله ﷺ ما بين الشهر أو الأيام، أو الليلة أو الليلتين حسب مقتضيات الحال، وملابسات النزول، والحكمة المرادة من ذلك كما سيرد في ثنايا البحث بمشيئة الله تعالى .

رابعاً: هل فُتُر الوحي قبيل وفاته ﷺ:

بعد الحديث عن فتور الوحي أحياناً في عُمُر البعثة النبوية للحِكَم الإلهية في ذلك، ولما تقتضيه مصلحة الدعوة الإسلامية، يبقى سؤال مُفاده: هل كان حال الوحي فتوراً أو تتابعاً في أواخر البعثة النبوية كأولها؟

ويأتي الرد على هذا التساؤل المهم في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن ابن شهاب قال: ﴿ أخبرني أنس بن مالك ﷺ: أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاهُ أكثر ما كان الوحي، ثم تُوفي رسول الله ﷺ بَعْدُ ﴾ [٣]

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جزء٨ ص٦٢٤ وما بعدها، الطبعة السابقة .

(٢) سورة النجم، الآيتان (٣، ٤) .

(٣) صحيح البخاري بحاشية السِّندي، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، ج٣ ص

.

يقول الإمام ابن حجر: (قوله: ﴿ إن الله تابع على رسوله ﷺ قبل وفاته ﴾ كذا للأكثر وفي رواية أبي ذر: ﴿ إن الله تابع على رسوله الوحي قبل وفاته ﴾ أي أكثر إنزاله قرب وفاته ﷺ، والسِّر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثُر النزول بسبب ذلك. ووقع لي تحديث أنس بذلك من رواية الدراوردي عن الإمامي عن الزهري سألت أنس بن مالك: هل فَتُر الوحي عن النبي ﷺ قبل أن يموت قال: [أكثر ما كان وأجمه] .

قوله: "[حتى توفاه أكثر ما كان الوحي] أي الزمان الذي وقعت فيه وفاته كان نزول الوحي فيه أكثر من غيره من الأزمنة، قوله: [ثم تُوفي رسول الله ﷺ بَعْدُ] فيه إظهار ما تضمنته الغاية في قوله [حتى توفاه الله] وهذا الذي وقع أخيراً على خلاف ما وقع أولاً، فإن الوحي في أول البعثة فُتَر فترة ثم كَثُر، وفي أثناء النزول بمكة لم ينزل من السور الطوال إلاَّ القليل، ثم بعد الهجرة نزلت السُّور الطوال المشتملة على غالب الأحكام، إلا أنه كان الزمن الأخير من الحياة النبوية أكثر الأزمنة نزولاً بالسبب المتقدم وبهذا تظهر مناسبة هذا الحديث للترجمة لتضمنه الإشارة إلى كيفية النزول" [1] .

ومن هنا يظهر التفاوت بين فتور الوحي أول البعثة وآخرها، حيث فُتُر في بدايات البعثة، ثم تتابع وكثر في نهايتها لحاجة الناس إلى إكمال الدين، وإتمام النعمة، وإظهار الأحكام، يقول تعالى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾ [2] .

٢٢٤، الطبعة السابقة .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٨ ص ٦٢٤، والمقصود بمناسبة الحديث للترجمة: أي ذكره تحت باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل .

(٢) سورة المائدة، الآية (٣) .

هذا ... وبإتمام هذه النقطة . حسب استطاعتي وجهدي . أرجو أن أكون قد وفقت في الإلمام بهذا التمهيد بنقاطه الأربع من البيان اللغوي للدلالة والتعريف بالوحي، وبيان المقصود بالفتور وأوقاته ودرجاته في الرسالة النبوية، وأنه ليس سُدَىً، وإنما هو لدلالة دعوية مُرادة، وأن الأمر كله لله إن شاء أمسك الوحي، وإن شاء تابعه وأمضاه ... وكل ذلك للوحي المنزل بواسطة جبريل عليه السلام، وهو القرآن الكريم دون سواه .

وبهذا يكون قد وضح المراد من عنوان البحث: (**الدلالة الدعوية لفتور الوحي عن سيِّد البرية** ﷺ). لأنتقل بعد ذلك بمشيئة الله تعالى إلى مباحثه الثلاثة .

والله من وراءِ القصْدِ يُجازي بالإحسان إحساناً، وبالسوء مغفرةً ورحمة ورضوانا.

المبحـــث الأول

تحنث النبـي ﷺ وبدء الوحي وصوره

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: تحنثُ النبي ﷺ في الغار .

المطلب الثاني: بـدء الوحي وصُوره .

المطلـب الأول

تحنث النبي ﷺ في الغـــار

لما أراد الله ﷻ للبشرية الخير والهُدى والرشاد، بعد عصور حالكة بظلمات الشرك والوثنية، والتخبط هنا وهناك، كان الاختيار الأمثل للنبي الأكمل ﷺ، ليحمل مِشْعَل الهُدَى والرشاد والرحمة إلى الناس أجمعين .

فاختاره الله، ونقَّاه، وصفَّاه، واصطفاه، وهيأه منذ ولادته لتحمل ما اختاره من أجله، فحصَّنه منذ صغره، وأبعده عن كل ملوثات الجاهلية .

وكان من بين هذا التهيؤ؛ تحبيب الله له الخلاء للتأمل والتحنث، والتفكر في ملكوت السموات والأرض، مُعطياً لنفسه الفرصة تلو الأخرى لتسبح بعيداً عن الصخب، واللهو، والضجيج، والأصنام وعبدتها وسدنتها، ومُكَائِهم وتَصْدِيتهم، وليتفرد بالواحد الديان، عَسَى أن يهديه طريق الرشاد .

المعنى اللغوي للتحنـــث:

جاء في لِسَانِ العَرب مادة: [حَنَثَ] قول ابن منظور: "تَحَنَّثَ: تعبَّد واعتزل الأصنام. مثل تَحَنَّفَ. وبَلَغَ الأطفال الحِنْث أي الإدراك، والبلوغ، وقيل إذا بلغ مبلغاً جَرىَ عليه القلم بالطاعة والمعصية .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ كان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد [1]، قال ابن سيده وهذا عندي على السَّلب، كأنه ينفي بذلك الحِنْث الذي هو الإثم عن نفسه كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [2] أي أنف الهجود عن عينك. وقد يجوز أن تكون ثاء (يُتَحنَّث] بدلاً من

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، عن السيدة عائشة رضي الله عنها في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. صحيح البخاري بحاشية السندي، ج١ ص٦، الطبعة السابقة .

(٢) سورة الإسراء، الآية (٧٩) .

فاء (يَتَحنَّف] وفلان يتحنث من كذا أي يتأثم منه .

ابن الأعرابي قوله: يَتَحنَّث أي يفعل فعلاً يخرج به من الحِنث وهو الإثم والحَرَج، ويُقال هو يتحنث أي يتعبد لله، قال وللعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها، يقال فلان يتأثم ويتحرج: إذا فعل فعلاً يخرج به من الإثم والحرج" [١] .

ويقول الإمام ابن حجر وهو بصدد شرحه للحديث المذكور آنفاً في معنى التحنث [٢] "[فيتحنث] هو بمعنى يتحنف، أي يتبع الحنيفية، وهي دين إبراهيم، والفاء تُبدلً ثاء في كثير من كلامهم" [٣] .

فيؤخذ من هذه المعاني اللغوية أن [التحنث] بمعنى التعبد لله ﷻ في خلوة بين الإنسان وربه، تَخْلُص فيها سريرته، ويَفْرُغ فيها قلبه، ويتحنث من ذنوبه، فَيَبْرأ منها، ويُقلع عنها، فتصفو نفسه، وترقى روحه، فيعود إلى حياته نقياً طاهراً، فرحاً بتوبة ربه عليه، وأوبته إليه .

وهذا ما كان محبباً إليه ﷺ قبل البعثة، فقد كان يتحنث إلى ربه ويتقرب إليه، ويناجيه، دونما ذنب ارتكبه عساه أن يحظى بقرب ربه ومولاه، وهذا ما خطَّته كتب السيرة، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها كما جاء في سيرة ابن هشام: "أن أول ما بُدي به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته، ورحمة العباد به: الرؤيا الصادقة، لا يَرَى رسول الله ﷺ رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح. قالت: وحبب الله تعالى إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده" [٤] .

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة [حنث]، ج٢ ص٣٨ وما بعدها بتصرف، الطبعة السابقة .

(٢) انظر ص١٦ من البحث .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ج١ ص٣١، الطبعة السابقة .

(٤) السيرة النبوية، لابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، قدم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد، ج١ ص٢١٦، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ طبع .

حالـه ﷺ في الغار مع الفقـــراء:

لم يُحرم الفقراء والمساكين جوده وعطاءه ﷺ حتى وهو في هذا الغار البعيد، لتصفو روحه، وتسمو نفسه وليجمع وهو في هذا الخلاء؛ بين التفكر، والصفاء، والعطاء، فيجود عليه رب الأرض والسماء .

جاء في السيرة: "كان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة، يُطعم من جاءه من المساكين، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به . إذا انصرف من جواره . الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراده من كرامته، من السنة التي بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر: شهر رمضان، خرج رسول الله ﷺ إلى حراء، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى" [1] .

وفي فائدة ذلك والحكمة منه يقول الدكتور/ البوطي: "إن لهذه الخلوة التي حُببت إلى قلب رسول الله ﷺ قبيل البعثة دلالة عظيمة جداً، لها أهمية كبرى في حياة المسلمين عامة والداعين إلى الله بصورة خاصة .

فهي توضح أن المسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متحلياً بالفضائل قائماً بألوان العبادات، حتى يجمع إلى ذلك ساعات من العُزْلة والخلوة يحاسب فيها النفس، ويراقب الله تعالى، ويفكر في مظاهر الكون، ودلائل ذلك على عظمة الله ... وحكمة ذلك أن للنفس آفات لا يقطع شَرَتها إلا دواء العُزْلة عن الناس ومحاسبتها في نجوة من ضجيج الدنيا ومظاهرها" [2] .

---

(١) المرجع السابق نفسه والجزء ص ٢١٩ .

(٢) فقه السيرة النبوية، الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٦٠ باختصار، طبع: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالاتفاق مع دار الفكر، دمشق، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

أما ما يعود مستقبلاً على تلك الشخصية المستغرقة في ملكوته سبحانه، والتي شُحنت بكل تلك الطاقات الإيمانية فيقول: "فإذا قام المسلم بذلك، وتهيأ له أداء هذه الوظيفة، نبتت له من ذلك في قلبه محبة إلهية عارمة، تجعله يستصغر كل عظيم، ويحتقر كل مُغْرية من المغريات، ويستهين بكل إيذاء وعذاب، ويستعلى فوق كل إذلال أو استهزاء، فتلك هي العُدَّة الكُبرى التي ينبغي أن يتسلح بها الدُّعاة إلى الله، وتلك هي العُدَّة التي جَهَّز الله بها حبيبه محمداً ﷺ ليقوم بأعباء الدعوة الإسلامية" (١) .

أما في عدم منازعة قريش للنبي ﷺ في الغار فيقول الإمام ابن حجر: "إنهم لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه، فتَبعه على ذلك من كان يتأله، فكان ﷺ يخلو بمكان جده وسلَّم له أعمامه لكرامته عليهم ... والحكمة في تخصيصه بالتخلي فيه أن المقيم فيه كان يمكنه رؤية الكعبة، فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر إلى البيت، وكأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع على سُنن الاعتكاف" (٢) .

ففي الغار كان الإعداد النفسي والروحي للنبي ﷺ، كما كان قبله الإعداد البدني والعقلي، والتدرب على الصبر والتصبر وقوة التحمل من خلال الإرضاع في بني سعد، ورعي الأغنام في الصحاري، والتجارة والرحلات في طول الصحراء وعرضها، وفي مختلف ظروف البيئة العربية ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، ثم تأتي الخلوة في الغار للتفكر والتدبر بالساعات والأيام، حتى يُعَدُّ هذا القلب ويسمو، ويصفو، حتى يكاد يضئ من دقة صفائه ونقائه ولو لم يمسُسه وحي، فتعكس مرآة قلبه الصافية المرائي كفلق الصبح .

---

(١) المرجع السابق، ص ٦١ والطبعة السابقة .

(٢) فتح الباري، للإمام/ ابن حجر، ج١٢ ص٣٧١ وما بعدها، الطبعة السابقة بتصرف يسير .

ثم ينزل الوحي الشريف، فيصادف قلباً صافياً، عذباً رقراقاً، تذوب بداخله مصاعب الحياة ومشاقها، فيُقبل على الدعوة والرسالة بنفس راضية مطمئنة داعية بالخير لمن كذَّب ولمن آمن على حدٍّ سواء .

بِمَ كَانَ تَعَبُّدُه ﷺ:

أمّا عن العبادة التي كان يتعبد بها النبي ﷺ أثناء تحنثه في الغار؛ فقد تباينت آراء العلماء فيها على ما ذكره الإمام ابن حجر حيث قال: "قال الكرماني اختُلف في تعبده ﷺ، بماذا كان يتعبد بناء على أنه هل كان متعبداً بشرع سابق أو لا؟، والثاني قول الجمهور، ومستندهم أنه لو وُجِدَ لنُقل، ولأنه لو وقع لكان فيه تنفير عنه .

وبماذا كان يتعبد؟ قيل بما يُلْقَى إليه من أنوار المعرفة، وقيل بما يحصل له من الرؤيا، وقيل بالتفكر، وقيل باجتناب رؤية ما كان يقع من قومه، ورجح الآمدي وجماعة؛ الأول، ثم اختلفوا في تعيينه على ثمانية أقوال: آدم، أو نوح، أو إبراهيم، أو موسى، أو عيسى، أو أي شريعة، أو كل شريعة، أو الوقف" [1] .

مداخلـة مع فضيلة أستاذنا الدكتور/ رؤوف شلبي ـ رحمة الله عليه ■:

أمّا فضيلة الدكتور/ رؤوف شلبي . رحمه الله تعالى . في كتابه: [بشائر النبوة] فقد تناول هذه النقطة بشيء من الشِّدة والحِدَّة، وجمع فضيلته بين [المِلَّة] و [الشرع] وهو ينكر على الإمام ابن حجر نقله لتلك الآراء، فمرة يتحدث على أساس أن المقصود]الملة] فيقول: "لقد ذهب رسول الله ﷺ إلى غار حراء نبياً، وعبد الله على دين الإسلام، كما عبده كل الأنبياء والمرسلين، ومن هنا فليس

(1) المرجع السابق نفسه والجزء ص ٣٧٢ والطبعة .

من الجيد أن يُطيل الباحثون الحديث حول [المِلَّة] التي كان يتعبَّد بها سيدنا محمد ﷺ فترة الخلوة في غار حراء .

لقد تحدث ابن حجر عن ذلك فعرض الآراء وعدها ثمانية، وحكى منها سبعة ... وهو عرض يَعِزُّ عليَّ كثيراً أن أرده لأن ابن حجر له منزلة سامقة في خدمة الإسلام، فكيف يذهب إلى ذلك، وقد جنح في غير مرَّة إلى أن النبي ﷺ بُدئ بالنبوة بالرؤيا الصالحة، واختار هو وقوع الخلوة في غار حراء بعد الرؤيا الصالحة، أفلا يكون من المنطق أن يكون التحنث في غار حراء في جو نبوي خاص معلوم للنبي ﷺ، وإن كان الوحي في اليقظة قد تراخى على حد تعبير ابن حجر نفسه" [١] .

ويقول في موطن آخر: "وعلى هذا [فالمِلَّة] التي كان يتحنث بها أو عليها رسول الله ﷺ هي [ملته] هو. هي [ملة] الأنبياء جميعاً، هي [ملة] الإسلام التي حملها نبي بعد نبي من لدن إبراهيم حتى العاقب الذي خَتَم الله به الرسالة" [٢] .

ويقول . أي د/ رؤوف شلبي . في موضع ثالث من الكتاب: "ونخلص من هذا . والحمد لله . إلى أن النبي ﷺ كان يتعبد في غار حراء على [ملة] الإسلام الحنيف بعد أن هيأه ربه منذ الأزل لهذه النعمة والرحمة" [٣] .

وفي الوقت الذي يتحدث فيه عن [الملة] في هذه المواضع الثلاثة نجده في موضع آخر يُعبِّر عنها [بالشرع] وليس [الملة] فيقول: "قد خاض العلماء في مسألة [الشرع] الذي كان يتعبد به النبي ﷺ في غار حراء، وهي مسألة خاصة

(١) انظر كتاب: بشائر النبوة، الخاتمة، دكتور/ رؤوف شلبي، ص ٣١٠ وما بعدها بتصرف، طبع: دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٠٩ والطبعة .

(٣) المرجع نفسه، ص ٣١٤ والطبعة .

بالتربية الإلهية لنبيه ﷺ لا سبيل إلى علم من علوم الفقهاء لدراستها وبحثها، وقد استخلصتُ من شروح العلماء أن بدء النبوة كان بالرؤيا الصادقة، وأن بدء إعلان هذه النبوة كان بالوحي، وعلى هذا فإن النبي ﷺ ذهب إلى غار حراء نبياً" (١) .

ولا أدري . مع احترامي وتقديري لشخصه الكريم وعلمه . هل اختلط الأمر على فضيلته فيما نقله عن الإمام ابن حجر بين [الملة) و [الشرع]؛ فما ذكره الإمام ابن حجر يتحدث فيه عن [الشرع] وليس [الملة] كما جاء في النص السابق (٢) "هل كان متعبداً [بشرع سابق أو لا] وفي نهاية النص يقول: "أو موسى، أو عيسى، أو أي شريعة، أو كل شريعة أو الوقف" .

وفي موطن آخر يقول الإمام ابن حجر: "أنه ﷺ هل كان قبل أن يُوحي إليه متعبداً [بشريعة] نبي قبله؟ قال الجمهور: لا، لأنه لو كان تابعاً لاستبعد أن يكون متبوعاً، ولأنه لو كان لنُقل من كان ينسب إليه، وقيل: نعم ..." (٣) .

وعلى ذلك [فالملة] لجميع الأنبياء واحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (٤)، ويقول تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (٥)، ويقول تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ (٦)، ويقول تعالى أيضاً: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

(١) المرجع نفسه، ص ٣٦ والطبعة .
(٢) انظر ص ١٩ من البحث .
(٣) فتح الباري، للإمام/ ابن حجر العسقلاني، ج٨ ص٥٨٨، الطبعة السابقة .
(٤) سورة آل عمران، الآية (١٩) .
(٥) سورة النحل، الآية (١٢٣) .
(٦) سورة البقرة، الآية (١٣٠) .

بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ (١) .

هذا عن [الملة] أي العقيدة الجامعة لجميع الأنبياء والمرسلين، أما عن [الشرع] والشرائع المتباينة تباين الزمان والمكان والحال والمآل، فيقول تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ (٢) .

وبالتالي . فما أراه . أن ما ذكره الإمام ابن حجر من اختلاف هو في [الشرع] الذي كان عليه النبي ﷺ في خلوته وتحنثه، وليس في [الملة] أو العقيدة، فالعقيدة واحدة بين جميع الأنبياء والمرسلين .

كما أن فضيلته أيضاً (٣) يتحدث عن [الرؤيا الصادقة] التي كان يراها النبي ﷺ قبل البعثة، وكانت تأتي كفلق الصبح، ويقرنها بالرؤى التي كانت بعد ذلك وترتب عليها أحكام شرعية فيقول: "والرؤيا الصالحة وحي ترتب عليه أحكام شرعية، لقد نفَّذَ سيدنا إبراهيم رؤيته: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ (٤) .

وخضع سيدنا إسماعيل، وتلَّه أبوه للجبين، ثم ناداه ربه أن قد صَدَّقت الرؤيا وفداه بذبح عظيم .

والرسول ﷺ عام الحديبية أعَدَّ ركب الحجيج إلى مكة معتمراً تنفيذاً لرؤياه: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (٥) .

ولا يختلف العلماء في أن الرؤيا الصادقة جزء من الوحي، وعلى هذا فإن التحنث في غار حراء كان تعبداً من نبي بدأه الله بالنبوة بالرؤيا تمهيداً وتوطئة لإعلانها

---

(١) سورة الشورى، الآية (١٣) .

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٨) .

(٣) أي فضيلة أستاذنا الجليل الأستاذ الدكتور/ رؤوف شلبي . رحمه الله تعالى . .

(٤) سورة الصافات، الآية (١٠٢) .

(٥) سورة الفتح، الآية (٢٧) .

له في اليقظة" [١] .

وأقول إنه مع احترامي وتقديري لرأي فضيلته في ذلك؛ إلا إنني أنوه . فقط . إلى أن الرؤيا التي رآها سيدنا إبراهيم عليه السلام في منامه، والخاصة بذبح ولده إسماعيل والواردة في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [٢] .

كانت وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام نبياً ورسولاً بالفعل قبل هذه الحادثة بسنين، وبالتالي ترتب على الرؤيا ما ترتب .

وكذلك قوله تعالى لنبيه محمداً ﷺ: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [٣] .

كانت أيضاً ورسول الله ﷺ نبياً ورسولاً يُوحى إليه فترتب عليها ما ترتب .

وبالتالي فهي . من وجهة نظري المتواضعة . ليست كالرؤيا التي يراها النبي ﷺ قبل تحنثه في الغار، فهي من قبيل المبشرات بقرب بعثته ﷺ، ولا يترتب عليها أمر أو نهي .

يقول العلامة ابن حجر: "إن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى بإيصاله إلى الخلق أن يقدمه ترشيح وتأسيس، فكان ما يراه النبي ﷺ من الرؤيا الصادقة، ومحبة الخلوة والتعبد من ذلك" [٤] .

وفي تشبيهها بفلق الصبح يقول نقلاً عن ابن أبي جمرة: "إنما شبهها

(١) انظر كتاب: بشائر النبوة، ص ٣٧، الطبعة السابقة .
(٢) سورة الصافات، الآية (١٠٢) .
(٣) سورة الفتح، الآية (٢٧) .
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٢ ص٣٧٧، الطبعة السابقة .

بفلق الصبح دون غيره لأن شمس النبوة كانت الرؤيا مبادئ أنوارها، فمازال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس" [١] .

ويؤكد هذا المعنى ابن هشام في السيرة فيقول: "إن النبي ﷺ جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به، لأن أمر النبوءة عظيم، وعبؤها ثقيل، والبشر ضعيف" [٢] .

ويربط الشيخ/ الخضري بين الرؤيا ونزول الوحي في بداية أمر النبوة فيقول: "ذلك لما جرت به عادة الله في خلقه من التدريج في الأمور كلها حتى تصل إلى درجة الكمال، ومن الصعب جداً على البشر تَلَقِّي الوحي من الملك لأول مرة" [٣] .

وجاء في كتاب [السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي] القول: "إنما بُدأ الوحي مع رسول الله ﷺ بالرؤيا، لئلا يفجأه الملك، ويأتيه بصريح النبوة بغتة، فلا تتحملها قُواه البشرية، فبُدِئ بأوائل خصال النبوة، وتباشير الكرامة؛ من صدق الرؤيا، وتسليم الحجر، والشجر عليه بالنبوة حتى يستشرف عظيم ما يُراد به، ويستعد لما ينتظره، فلم يأته الملك إلا بأمر عنده مقدماته" [٤] .

ثم إن الدكتور/ رؤوف شلبي نفسه مع كل التأكيدات والخُلاصات التي كررها أكثر من مرة في كتابه [بشائر النبوة]، نجده في مواطن أُخرى يتحدث عما كان يراه النبي ﷺ قبل البعثة، من رؤى صالحة، أو تسليم الحجر عليه، أو

(١) المرجع السابق نفسه والجزء، ص ٣٧١ والطبعة .

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ج١ ص٢٢٠، الطبعة السابقة .

(٣) انظر كتاب: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ/ محمد الخضري، حققه وعلَّق عليه: الشيخ/ نايف العباس، ومحيي الدين مستو، ص ٣٦، بدون ذكر الطبعة أو تاريخ الطبع .

(٤) انظر كتاب: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، د/ أحمد أحمد غلوش، ص ٣١١، طبع: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

تظليل الغمام له [١] بأن ذلك من قبيل الإعداد له ﷺ والعلامات الدالة على أنه نبي هذه الأمة فيقول: "إن الله جل شأنه أكمل للنبي ﷺ بعد تربيته وإعداده للرسالة الجو النفسي، وقرَّب إليه يوم الوحي بدلائل خاصة كان منها تسليم الحجر، ثم كان منها الرؤيا الصالحة في النوم" [٢] .

ويؤكد هذا في موطن آخر فيقول: "إن الجو من حَوَاليه ﷺ كان يُقدِّم له العلامات أنه نبي آخر الزمان، فلم يكن الدافع على التحنث اتباعه لعادة قومه، فحاشاه أن يكون تابعاً لأية فكرة أرضية، ولا كان تحنثه رغبة منه في رياضة نفسية، يستقبل بها أمراً خاصاً يرجوه في نفسه" [٣] .

وعلى هذا ... يكون تعبده ﷺ في الغار تعبد الأنبياء والمرسلين، وملة أبيه إبراهيم، قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [٤] وما كان من مجال للأخذ والرد والاختلاف والتباين بين العلماء إنما هو في الشرع والشريعة التي كان يتعبد بها ﷺ أثناء تحنثه في الغار وليس في صُلب العقيدة .

وتكون الرؤيَا الصادقة للنبي ﷺ قبل البعثة، من قبيل التثبيت لقلبه ﷺ، والتمرن على ثقل ما سيُوحى إليه به من قِبَل ربه تبارك وتعالى فيما بعد، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [٥] .

---

(١) انظر الحديث عن تلك المبشرات بالنبوة في: السيرة النبوية، لابن هشام، ج١ ص٢١٧ وغيرها من الصفحات، وكذا كتب السيرة النبوية الشريفة .

(٢) كتاب: بشائر النبوة، د/ رؤوف شلبي، ص ٢٨٨، الطبعة السابقة .

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٩٨ والطبعة .

(٤) سورة الحج، الآية الأخيرة (٧٨) .

(٥) سورة المزمل، الآية (٥) .

وبعد هذا الإعداد والاستعداد، والبشارات تلو البشارات كان بدء الوحي على النبي ﷺ، إيذاناً بمرحلة جديدة في حياته ﷺ تغير وجه العالم بأسره، وتنير الكون بنور الحق والعدل، والخير والسلام .

المطلب الثاني

بدء الوحي وصوره

أولاً: بدء الوحي:

بعد اختلاء النبي ﷺ مع نفسه، والأنس بربه متفكراً ومتأملاً، يرقب كل ما حوله من هذا المكان المطل مباشرة على البيت الحرام ... وكأنى به ﷺ تدمع عينه ويتفطر قلبه لما يراه حول البيت، متمنياً لو خلُص وتطهر من الشرك وعبادة الأصنام، وعاد التوحيد يتلألأ بين جنباته كما كان عندما رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

ولكن أنىَّ له ذلك، وهو وحيد فريد، لا يملك إلا الوحدة، والخلوة، والنجوى؛ ... ولا يَدْرى أنه قاب قوسين أو أدنى من الاتصال بالملأ الأعلى، وأن فجراً جديداً قد لاح، وشمساً قد أشرقت، وصبحاً جديداً يتنفس، ففاجأه جبريل وهو على هذه الحالة من السُكون والتأمل، كما فاجأ مريم وهي في محرابها وحجابها .

وكان يومً جديداً فارقاً في حياته، يعدل كل سنين عمره الماضية .

فقد جاء في صحيح الإمام البخاري عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ﴿ أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه . وهو التعبد الليالي ذوات العدد . قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ

﴿ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [1] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت ربه ورقة بن نوفل ..... ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفَتَر الوحي ﴾ [2] .

فكان هذا أول ما نزل من الوحي على النبي ﷺ بعد خلوته، إيذاناً باتصال الأرض بالسماء، وقد وضح من الحديث الشريف مدى ثقل هذا الوحي، وما بذله من جهد في تلقيه كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [3] .

وقد تحدث الإمام ابن القيم وهو يحقق في أول ما نزل على النبي ﷺ فيقول: "ثم أكرمه الله تعالى بالنبوة فجاءه الملك وهو بغار حراء، وكان يُحب الخلوة فيه، فأول ما نزل عليه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ [4] هذا قول عائشة والجمهور، وقال جابر: أول ما نزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [5] والصحيح قول عائشة لوجوه:

أحدها: أن قوله ما أنا بقارئ صريح في أنه لم يقرأ قبل ذلك شيئاً .

الثاني: الأمر بالقراءة في الترتيب قبل الأمر بالإنذار .

---

(١) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٣) .

(٢) رواه الإمام البخاري في كتاب: كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، صحيح البخاري بحاشية السندي، ج١ ص٦، ٧، الطبعة السابقة بتصرف .

(٣) سورة المزمل، الآية (٥) .

(٤) سورة العلق، الآية الأولى .

(٥) سورة المدثر، الآية الأولى، والحديثان للسيدة عائشة رضي الله عنها وسيدنا جابر رضي الله عنه في صحيح البخاري في كتاب: كيف كان بدء الوحي، صحيح البخاري بحاشية السندي، ج١ ص٦، ٧، الطبعة السابقة وفيه في حديث جابر [فرفعت بصري] .

الثالث: أن حديث جابر وقوله أول ما أُنزل من القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ قول جابر؛ وعائشة أخبرت عن خبره ﷺ عن نفسه بذلك .

الرابع: أن حديث جابر الذي احتُج به صريح في أنه قد تقدم نزول الملك عليه أولاً قبل نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ فإنه قال: "فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء فرجعت إلى أهلي فقلت: زملوني، دثروني فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ وقد أخبر أن الملك الذي جاءه بحراء أنزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ فدل حديث جابر على تأخر نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ والحجة في روايته لا في رأيه والله أعلم" [١] .

فهذا يدل على أن أول ما نزل على النبي ﷺ مطلع سورة العَلق، أما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ فنزلت بعد الفتور الأول للوحي كما سيرد بعد ذلك في ثنايا البحث بمشيئة الله تعالى .

موقـف السيدة خديجـة رضي الله عنها من الوحـــي:

وضح من الحديث السابق [٢] إضافة إلى ما سبق . مؤانسة السيدة خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ، ومؤازرتها له، وصبرها، وبحثها الدؤوب عن الحق، وكذا طمأنتها إياه ﷺ، مستدله على ذلك بأياديه البيضاء، وأعماله الخيرية العفوية في خدمة المجتمع الذي يعيش فيه، والتي يشهد بها القاصي والداني، فكانت بذلك . رضوان الله عليها . خير أنيس، وخير جليس .

ويدخل بنا ابن هشام في عمق المشهد فينقل لنا تحت عنوان: الرسول

(١) انظر: زاد المعاد، للإمام/ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف طه، ج١ ص٣٣ وما بعدها، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

(٢) في ص٢٦، ٢٧ من البحث عن السيدة عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي .

ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه: "وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي، حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها مضيفاً إليها [١]، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا ابن العم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأُمة" [٢] .

ولا يكاد متصفح لكتاب من كُتب السيرة، إلا ويجد الإجماع على مناقب السيدة خديجة رضي الله عنها، ومواقفها النبيلة مع النبي ﷺ في هذا المشهد البالغ الصعوبة وغيره من مشاهد، حتى آخر رمق من حياتها . رضوان الله عليها . .

يقول الشيخ/ محمد الغزالي: "كان موقف زوجه خديجة منه من أشرف المواقف التي تُحمد لامرأة في الأولين والآخرين" [٣] .

وفي موطن آخر يعقد الشيخ/ الغزالي مقارنة بين السيدة خديجة رضي الله عنها، وبعض زوجات الأنبياء السابقين الذين تآلبوا على أزواجهم الأنبياء، ولم يجدوا منهم وفاءً ولا عهداً فيقول: "إن خديجة من نعم الله الجليلة على محمد ﷺ، فقد آزرته في أحرج الأوقات، وأعانته على إبلاغ رسالته، وشاركته مغارم الجهاد المر، وواسته بنفسها ومالها، وإنك لتحس قدر هذه النعمة عندما تعلم أن من زوجات الأنبياء من خُنَّ الرسالة وكفرن برجالهن، وكُن مع المشركين من قومهن وآلهن حرباً على الله ورسوله ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا

(١) أي ملتصقاً بها، مما يدل على مدى قربها وحنوها بزوجها ﷺ .

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ج١ ص ٢٢١، الطبعة السابقة .

(٣) انظر: فقه السيرة، الشيخ/ محمد الغزالي، ص٩٤، دار الحصري للطباعة، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [1] .

أما خديجة فهي صِدِّيقة النساء، حَنَتْ على رَجُلها ساعة قلق، وكانت نسمة سلام وبرّ، رطبت جبينه المتصبب من آثار الوحي، وبقيت ربع قرن معه، تحترم قبل الرسالة تأمله وعزلته وشمائله، وتحمل بعد الرسالة كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة" [2] .

فكانت السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها؛ خير مواسٍ له ﷺ، وخير مؤازر، فعندها وجد الإنسانة الحكيمة، الرزينة، الوقورة، صاحبة العقل الكبير، والحكمة المستنيرة، مع الحنان المتدفق، والحنو المنقطع النظير .

فاستراحت نفسه ﷺ، واطمأن خاطره، وسكن فؤاده، فانطلق في طريق الدعوة، وتبليغ الرسالة غير عابئ بكيد كائد ولا مكر ماكر، مطمئناً إلى هذا الركن الركين، والحصن الحصين، والحُضن الدافئ، يطمئنه إذا قلق، ويريحه إذا تعب، ويعينه إذا خُلِّي به، وينصره إذا خُزل. رضي الله عنها وأرضاها، ومتعها بما أعطاها في دنياها وأُخراها .

ثانياً: صـــور الوحـــي:

كان للوحي الذي يتنزل على قلب النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، صوراً متعددة، تيسيراً عليه ﷺ، ورفقاً به، حيث كانت بعض هذه الحالات لا يتحملها المجاورون له، ولا حتى الدابة التي يركبها .

فعن السيدة عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيفصم عني وقد وَعَيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة

(١) سورة التحريم، الآية (١٠) .

(٢) انظر: فقه السيرة، الشيخ/ محمد الغزالي، ص ١٣١ وما بعدها، الطبعة السابقة .

رضي الله عنها، ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً ﴾ [١] .

ومعنى"[صلصلة الجرس]، صوت وقع الحديد بعضه على بعض، و[يفصم] أي عندما يقلع ويرتفع عنه الملك، [وَعَيْتُ] فهمت وحفظت [يتفصد] الفصد: قطع العِرق لإسالة الدم، مبالغة في وصف كثرة عَرَقه ﷺ وشدة معاناته عند نزول الوحي" [٢] .

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في معنى قوله ﷺ: ([وهو أشده عليَّ] يُفهم منه أن الوحي كله شديد، ولكن هذه الصفة هي أشدها، وهو واضح لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ... وسبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به، وإنما كان شديداً عليه، ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع" [٣] .

فيظهر من الحديث الشريف الذي تشرفت اليد بسطره مدى حرص الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم على الاطمئنان على الوحي، ومصدره، وكيفية تلقي النبي ﷺ له، وحاله عند ذلك التلقي، كما يظهر منه أيضاً؛ أن شدة الوحي، وتفصده ﷺ عرقاً، وصوت الصلصلة الذي يقرع أُذنه . أحياناً . لم يمنعه ذلك كله من الوعي التام، والحفظ الكامل، والفهم الدقيق لكل ما أُوحي إليه، فقد تكرر في الحديث قوله ﷺ: ﴿ فيفصم عني وقد وَعَيْتُ عنه ما قال ﴾ وقوله: ﴿

---

(١) رواه الإمام البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، صحيح البخاري بحاشية السندي، ج١ ص٦، الطبعة السابقة .

(٢) انظر كتاب: فتح الباري على مختصر البخاري، حاشية على التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، للزبيدي، د/ محمد يسري، ص ١٣ وما بعدها، طبع: دار اليسر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، للإمام/ ابن حجر العسقلاني، ج١ ص٢٨ وما بعدها بتصرف يسير، طبع دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م .

فيكلمني فأعي ما يقول ﷺ، دلالة على إدراكه التام لآيات الوحي وكلماته، ليدونه كُتَّاب الوحي بعد ذلك وفور سماعه من فمه الشريف ﷺ دَون زيادة أو نقصان.

وإذا كان الحديث السابق قد تحدث عن صورتين فقط من صور الوحي إحداهما كصلصلة الجرس، والأُخرى تَمثُّل الملك له بصورة رجل يكلمه ... فإن الإمام ابن القيم . رحمه الله . قد حصرها في أكثر من ذلك حيث يقول: "وكمل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة:

إحداها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه .

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً .

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه فيلتبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خُلق عليها فيُوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه .

السادسة: ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة .

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺهو في حديث الإسراء" [1].

ويتفق الإمام/ السيوطي . صاحب الإتقان . مع الإمام ابن القيم في هذه

(1) انظر: زاد المعاد، للإمام/ ابن القيم، ج١ ص٣٢، الطبعة السابقة .

المراتب للوحي، ويُسميها كيفيات الوحي لكنَّه يزيد عليها: "أن يأتيه الملك في النوم .... [أو] أن يكلمه الله إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء أو في النوم .... وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم" [١] .

ويُجمل القرآن الكريم كيفيات الوحي، أو صوره على جميع الأنبياء والمرسلين، في آية جامعة في سورة الشورى حيث يقول فيها تبارك وتعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [٢] .

فإذا كان النبي ﷺ قد اشترك مع النبيين والمرسلين فيما جاء في الشطر الأول من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ [٣] لكنَّه انفرد عنهم ﷺ بنزول القرآن الكريم كاملاً بواسطة جبريل عليه السلام، وهذا ما جاء في الشطر الثاني من الآية في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [٤] .

فلم يكن القرآن الكريم وحيّاً منامياً [٥]، أو من وراء حجاب كما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام عندما كلمه الله من وراء الجبل، أو من وراء الشجرة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [٦]،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للإمام/ جلال الدين السيوطي، ج١ ص ٦٠ بتصرف يسير، الطبعة السابقة .

(٢) سورة الشورى، الآية (٥١) .

(٣) سورة الشورى، نفس الآية السابقة (٥١)

(٤) سورة الشورى، نفس الآية السابقة (٥١) .

(٥) أي رؤي منامية .

(٦) سورة الأعراف، الآية (١٤٣) .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [1]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2] .

فالقرآن الكريم كله من أوله إلى آخرة أُنزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وليس بواسطة أُخرى، وهذا صريح في آيات القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [6] .

أما عن شدة الوحي في بداية نزوله في المرات الأُولى حيث رأى ﷺ الملك على هيئته التي خلقه الله عليها، بما لا معهود للبشر بذلك، ولِمَ كان بكل تلك الحدة والشدة؟ فيقول فضيلة الشيخ/ محمد الغزالي . رحمه الله .: "وربما قيل لِمَ كانت أوائل الوحي بهذه المثابة من الشدة؟ ولماذا لم يبدأ نزول القرآن إلهاماً في

(١) سورة النمل، الآيات (٧ . ٩) .
(٢) سورة القصص، الآية (٣٠) .
(٣) سورة البقرة، الآية (٩٧) .
(٤) سورة النحل، الآية (١٠٢) .
(٥) سورة الشعراء، الآيات (١٩٢ . ١٩٥) .
(٦) سورة النجم، الآيات (٣ . ٥) .

منام، أو إلهاماً في يقظة ... أَو ليس هذا أبعد عن دواعي الفزع والإعياء؟، والجواب: أن نزول القرآن اتخذ هذه الطريقة أول الأمر، ونزول الملك به في هذا المظهر؛ قطعاً لكل شبهة في أنه ألفاظاً ومعاني من عند الله، وأن محمداً حُمِلَهُ تحميلاً، بعد أن اصطُفي له، واختُص به، فهو ليس افتعال عابد منقطع تخيل فخال، ولا صناعة فيلسوف ماهر، يجيد سَوْق الأدلة، وتنميق المقال، إنما هو كلام الأحد الحق الكبير المتعال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ "[1].

فلا شك أن هذا يدل على ثقل وعِظَم هذا الوحي، وما سيحوي من أوامرَ ونواهٍ، وترغيبٍ وترهيب، وزجرٍ وتخويف، مع جدّية أحكامه وتشريعاته لصلاح البلاد والعباد، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ [2].

❁ ❁ ❁

□

(١) فقه السيرة، الشيخ/ محمد الغزالي، ص ٩٧، ٩٨، والآيتان من سورة النجم (٤، ٥) .

(٢) سورة الطارق، الآيات (١١ . ١٤) .

المبحـــث الثانـــي

نماذج من فتور الوحي عن النبي ﷺ
ودلالتها الدعويـة

ويشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول: فتور الوحي بين (اقرأ) و (المدثر) ودلالته الدعوية .

المطلب الثاني: فتور الوحي عند نزول سورة الضحى ودلالته الدعوية .

المطلب الثالث: نموذج من فتور الوحي في سورة الكهف ودلالته الدعوية .

المطلب الرابع: نموذج من فتور الوحي في سورة النور ودلالته الدعوية .

المطلـــب الأول

فتور الوحي بين (اقرأ) و(المدثر) ودلالته الدعويـة

يقول الله تعالى في أول سورة المدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [١] .

المعنى العام للآيـــات:

في هذه الآيات الكريمات حث للنبي ﷺ إلى ترك الدِّعة والسُّكون، والنوم والتدثر، إلى القيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى، فما بعثناك لتنام، أو لتتدثر في ثيابك، وتختبئ تحت لحافك، بل أرسناك لمهمة جليلة وعظيمة، ألا وهي الدعوة إلى الله تعالى (فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، وبادر فيه، فأنذر الناس ... وعظَّم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهَّر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهَجَر كل ما يُعبد من دون الله .... وصبر لربه أكمل صبر، فصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وصبر على أقداره المؤلمة حتى فاق أُولي العزم من المرسلين) [٢] .

فتـور الوحي ومدته بين (اقرأ) و (المدثر) [٣]:

---

(١) سورة المدثر، الآيات (١ . ٧) .

(٢) انظر كتاب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، قدم له: الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، ص ٨٥١، طبع: دار البيان الحديثة، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

(٣) الكثير من الذين كتبوا في سيرة النبي ﷺ، لم يكتفوا بسرد هذا الموضوع كمجرد سطور في بحث لكنهم صَدَّروها بعناوين خاصة دالةٍ على الموضوع، فابن هشام في السيرة يكتب عنوان (فترة الوحي ونزول سورة الضحى)، وفي نور اليقين (فترة الوحي) و(عود الوحي)، وفي الرحيق المختوم (فترة الوحي)، و (جبريل ينزل بالوحي ثانية). وفي السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي (بدايات الوحي) (فتور الوحي). انظر: سيرة ابن هشام، ج١ ص٢١٧، نور اليقين، ص٣٨، ٣٩، الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص ٧٨، طبع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، السيرة النبوية والدعوة في العهد لمكي، ص ٣٢٤ .

جاء في صحيح الإمام البخاري في فتور الوحي في هذا الموضع أن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: ﴿ بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرُعبت منه، فرجعت فقلت زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ فَحَمِي الوحي وتتابع ﴾ [١] .

فتبين من الحديث أن هذا هو النزول [الثاني] لجبريل عليه السلام بعد النزول [الأول] عند نزول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ لقوله ﷺ [فإذا الملك الذي جاءني بحراء] .

كما يتبين من الحديث أيضاً حدوث فتور للوحي بعد نزول (اقرأ)، لقوله [وهو يُحدث عَن فترة الوحي] كما دَلَّ على هذا الفتور أيضاً قوله [فَحَمِي الوحي] أي تكاثر وتتابع، وهو ضد الفتور، وهذا يؤكد حدوث الفتور قبل نزول [المدثر] وإلاَّ لَمَا قال: [فحمي الوحي وتتابع] .

يقول الإمام ابن حجر: "دَلَّ قوله [عن فترة الوحي] وقوله: [الملك الذي جاءني بحراء] على تأخر نزول سورة المدثر عن اقرأ ... وقوله [فَرُعبت منه] أي فزعت دل على بقية بقيت معه من الفزع الأول ثم زالت بالتدريج" [٢] .

وجاء في تفسير الإمام/ ابن كثير تعليقاً على تلك الرواية قوله: "هذا السياق هو المحفوظ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله [فإذا الملك الذي جاءني بحراء] وهو جبريل أتاه بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ ثم إنه حصل بعد هذا فترة، ثم نزل الملك بعد هذا، فأول شيء نزل بعد هذه الفترة هذه

(١) رواه الإمام البخاري في باب: كيف كان بدء الوحي، صحيح البخاري بحاشية السندي، ج١ ص٧، الطبعة السابقة.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام/ ابن حجر العسقلاني، ج١ ص٣٧ وما بعدها بتصرف يسير، طبع: دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٩٧٦م .

السورة . [المدثر] ." [١] .

وبالتالي فرواية البخاري وآراء علماء الحديث والتفسير حولها، تُؤكد فتور الوحي عن النبي ﷺ بعد نزول آيات سورة العلق، ولذا تكون آيات سورة المدثر أول الآيات نزولاً بعد فتور الوحي عن النبي ﷺ، و﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ أول الآيات نزولاً على الإطلاق [٢] .

---

(١) تفسير الإمام/ ابن كثير، ج٤ ص ٤٤٠، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ طبع .

(٢) وهذا ما أكد عليه الإمام ابن كثير في تفسيره حيث قال وهو بصدد الحديث عن صدر سورة المدثر (ثبت في صحيح البخاري [الحديث في صحيح البخاري، كتاب: التفسير، سورة المدثر، ج٣ ص٢٠٩] من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ وخالفه الجمهور فذهبوا === === إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٤٠، الطبعة السابقة.

ولعل الإشكالية نشأت مما جاء في رواية دون أُخرى، وكلا الروايتين عن جابر بن عبد الله ﷺ، فبينما في الرواية التي استشهدتُ بها أن جابر بن عبد الله قال: [وهو يحدث عن فترة الوحي] انظر الحديث في ص ٣٦، ٣٧ من البحث نجد في رواية أخرى لم تذكر هذا التقيد ففيها أن النبي ﷺ قال: ﴿ جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فَنُوديتُ، فنظرتُ عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثروني، وصبوا عليَّ ماءً بارداً، قال: فدثروني، وصبوا عليَّ ماءً بارداً، قال: فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾ رواه الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله في كتاب التفسير سورة المدثر، صحيح الإمام البخاري بحاشية السِّندي، ج ٣ ص ٢٠٩ .

يقول الإمام/ ابن حجر: (دلَّ قوله: [وهو يحدث عن فترة الوحي] وقوله: [الملك الذي جاءني بحراء] . الحديث في ص ٣٩٤. دَلَّ على تأخر نزول سورة [المدثر] عن [اقرأ]، ولما خَلَت رواية يحيى بن أبي كثير عن جابر عن هاتين الجملتين، أُشكل الأمر، فجزم من جزم بأن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ أول ما نزل، ورواية الزهري هذه الصحيحة تدفع هذا الإشكال) فتح الباري بشرح صحيح الإمام/ البخاري، للإمام/ ابن حجر، ج١ ص ٣٧، الطبعة السابقة .

ويقول الإمام/ ابن حجر أيضاً عن حديث يحيى بن أبي كثير عن جابر والذي فيه: أول شيء نزل من القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ الحديث في ص ٣٦ (المراد بالأولية في قوله [أول ما نزل سورة المدثر] أولية

يقول الإمام/ السِّندي في حاشيته: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ أول ما نَزَل حين تتابع الوحي، وحَمِي، والذين كانوا يقولون هو [اقرأ] . أي أول ما نزل . ذكروا ذلك بناءً على أنها الأول مطلقاً، ويُحتمل أن بعض الناس ظن [اقرأ] أول سورة حين تتابع الوحي بناءً على ظن نزولها مرتين مثلاً، فهذا رد عليهم. والله تعالى أعلم" [1] .

فدل رأي الإمام السِّندي . رحمه الله . مع من سبقه على ثبوت فتور الوحي بعد نزول [اقرأ] ثم تواليه وتتابعه بعد نزول [المدثر] ولكلٍ حكمته وعِبره وعِظاته .

مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر بالإنذار، لا أن المراد أولية مطلقة، فكأن من قال: أول ما نزل [اقرأ] أراد أولية مطلقة، ومن قال إنها [المدثر] أراد بقيد التصريح بالإرسال، قال الكرماني: استخرج جابر أول ما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ باجتهاد وليس هو من روايته والصحيح وقع في حديث عائشة، الحديث في ص ٢٦، وفي أول سورة نزلت قول آخر: عن عطاء الخراساني قال [المزمل] نزلت قبل [المدثر] وعطاء ضعيف وروايته مُعْضِلة، لأنه لم يثبت لقاؤه بصحابي معين، وظاهر الأحاديث الصحيحة تأخر [المزمل] لأنها فيها ذكر قيام الليل وغير ذلك مما تراخى عند ابتداء نزول الوحي بخلاف المدثر فإن فيها ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾، فتح الباري، ج٨ ص ٥٤٦، الطبعة السابقة .

(١) انظر: حاشية السِّندي على صحيح الإمام/ البخاري، ج٣ ص ٢٠٩، الطبعة السابقة .

مـدة فتور الوحي بين [إقرأ] و [المدثـر]:

بعد ما أثبت البحث في الأسطر الماضية فتور الوحي عن النبي ﷺ، بقي أن نُلقي الضوء على أقوال العلماء في مدة ذلك الفتور، ومناقشتها، والترجيح بينها .

فيُطالِعُنا الإمام/ ابن حجر بعدة آراء في ذلك منها: "أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين ... وجاء في بعض الروايات: أن مدة الفترة سنتان ونصف، وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياماً" (١) .

وفي موضع آخر يذكر رأي من قال أنها كانت ستة أشهر فيقول: "يمكن أن يكون المجيئ في الغار كان أولاً في شهر رمضان، وحينئذٍ نُبِّئ، وأُنزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾، ثم كان المجيئ الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار، وأُنزلت عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾" (٢) .

فالمدة واضحة في هذا القول من شهر رمضان إلى ربيع الأول، وهي ستة أشهر، لكن يُلحظ في هذا القول التفرقة بين النبوة والرسالة بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ، فكأنه جعل نزول [اقرأ]، بداية النبوة لقوله [وحينئذ نُبِّئ]، ونزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ بداية الرسالة له ﷺ لقوله: [ثم كان المجيئ الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار]، أي بالرسالة .

وأقول .... إن النبوة والرسالة لا يتجزأن بالنسبة له ﷺ، فهو نبي ورسول منذ أول آية نزلت عليه ﷺ، وبالتالي لم تجعله [اقرأ] نبياً، ثم جعلته [المدثر] رسولاً .

أولا: يصح لنا . من وجهة نظري . أن نقول: أنه ﷺ أمسي بـ [اقرأ] نبياً،

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام/ ابن حجر العسقلاني، ج١ ص٣٦، الطبعة السابقة .
(٢) المرجع السابق نفسه، ج٨ ص٥٨٨، الطبعة السابقة .

ثم أصبح بـ [المدثر] رسولاً، فهو نبي ورسول منذ بداية الوحي الأُولى .

أما ما كان يراه ويشاهده قبل البعثة فهو من قبيل المبشرات بنبوته، أو قرب نبوته ﷺ [١] .

ومع تتبعي لما ذكره الإمام/ ابن حجر من آراء في مدة فترة الوحي، وجدت أنه يُرجح الرأي القائل بقلتها وليس كثرتها، فيقول معلقاً على إحدى الروايات في كتاب التعبير: "فيُستفاد من هذه الرواية تقليل مدة الفترة. والله أعلم" [٢] .

ويقول عند تفسير سورة [الضحى]: "الحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول [والضحى] غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، فإن تلك [أي في ابتداء الوحي] دامت أياماً، وهذه [أي في والضحى] لم تكن إلا ليلتين، أو ثلاثاً، فاختلطتا على بعض الرواة، وتحرير الأمر ما بينته" [٣] .

ولا يكاد يخرج كُتَّاب السيرة المُحدثون عما أورده الإمام/ ابن حجر، بل جُلُّهم قد أخذ منه، ومن رواياته، وإن كانوا قد اختلفوا فيما رجحوا من آراء [٤] .

---

(١) انظر ما جاء في ص ٣٧٩ .

(٢) فتح الباري، ج١٢ ص٣٧٧، الطبعة السابقة، والرواية من حديث لابن عباس وفيها: ﴿ مكث أياماً بعد مجيئ الوحي لا يرى جبريل فحزن حزناً شديد .... ﴾، المرجع نفسه والجزء، ص ٣٧٦ والطبعة .

(٣) المرجع نفسه، ج٨ ص٥٨٠ والطبعة .

(٤) فعلى سبيل المثال يقول د/ البوطي: (واختُلف في الزمن الذي فَتُر فيه الوحي فقيل ثلاث سنوات، وقيل أقل من ذلك والراجح ما رواه البيهقي من أن المدة كانت ستة أشهر)، وفي الرحيق المختوم: (أما مدة فترة الوحي فروى ابن سعد عن ابن عباس ما يفيد أنها كانت أياماً، وهذا الذي يترجح بل يتعين بعد إدارة النظر في جميع الجوانب، وأما ما اشتُهر من أنها دامت طيلة ثلاث سنين، أو سنتين ونصف، فلا يصح بحال)، وقد بقي رسول الله ﷺ في أيام الفترة محزوناً تعتريه الحيرة والدهشة، أما الشيخ الخضري فيقول: (وفتُر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون، وأرجح أقوالهم فيها أربعون يوماً ليشتد شوق الرسول للوحي؛ وقد كان)، ويعقب د/ أحمد غلوش فيقول: (والعلماء يختلفون في تحديد مدة [انقطاع الوحي] . يُسميه انقطاعاً وليس فتوراً . ... والرأي الأولى بالاعتبار هو في تقصير مدة [الانقطاع] لمناسبته مقام الرسول عند ربه، ولأنه من الأمور التي=

والذي أميل إليه في تفاوت الآراء حول المدة التي فتر فيها الوحي عن النبي ﷺ؛ هو القول بقلتها، وليس كثرتها، حتى إن البعض اختلط عليه الأمر لقصر المدة بين نزول [اقرأ] و [المدثر] فذهب إلى أن [المدثر] أول ما نزل من القرآن، ولو طالت المدة لشاع الفصل بين النزولين، ولما حصل هذا الخلط .

=إذا طالت انتشرت، وعُرفت، واشتهرت، كما أن الانقطاع مدة طويلة يُؤدي إلى ضياع كثير مما تم بناؤه في دنيا الناس، وحياة رسول الله ﷺ). انظر: فقه السيرة، للبوطي، ص ٦٣، ونور اليقين، الشيخ/ الخضري، ص ٣٨، والسيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، د/ أحمد غلوش، ص ٣٢٥، الطبعات السابقة، وكتاب: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص ٧٨، طبع: دار رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

الـدلالـة الدعويـــة:

أمَّا عن الدلالة الدعوية من وراء ذلك الفتور للوحي في هذا الموضع عن النبي ﷺ، فقد يَسَّر المُيسِّرُ بالدلالات الآتية:

أولاً: إذهاب الروع والتشوف إلى العـود:

بعد اللقاء الأول المثير، والظهور الأكثر إثارة لجبريل عليه السلام بهيئته التي خلقه الله عليها، ورجوع النبي ﷺ بيته خائفاً وجلاً، حيث بذلت السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها جُهداً مضنياً في طمئنته والتخفيف عنه، شاءت حكمة الله تعالى . تخفيفاً عنه ﷺ . أن يَفْتُر الوحي عنه بُرهة، ليستريح قليلاً من عِظم ما رأى، وليستجمع قواه من جديد، فيتشوق ويتشوف لما هو آتٍ وليستعد له .

يقول فضيلة الشيخ/ محمد الغزالي: "ولا عجب فقد ظل يعاني من التنزيل شدة، أَمداً طويلاً، وشاء الله أن يفتر الوحي بعد ابتدائه حتى يكون تشوف الرسول ﷺ وارتقابه لمجيئه سبباً في ثباته واحتماله عندما يعود، ومع ذلك، فإن الطاقة البشرية ناءت أمام وطأته" (١) .

ويتابع فضيلة الدكتور/ رؤوف شلبي هذا المعنى بقوله: "لقد فتر الوحي بعد بدء إعلان النبوة ليتشوق النبي الكريم إلى لقائه بعد أن تستقر غبطته باصطفائه، وذلك تقدير الله لحياة نبيه، ثم تتابع الوحي ونزلت مواصفات العمل النبوي تزكيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ (٢) فأوجز الله فيها تزكية بحاله، واساساً لدعوته" (٣) .

وبالتالي اقتضت حكمته تعالى أن يفتُر الوحي في توقيت مُحدد، من باب التخفيف والتشويق في آنٍ واحد، فسبحان المنعم في المنع والعطاء .

---

(١) فقه السيرة، الشيخ/ محمد الغزالي، ص ٩٦، الطبعة السابقة .

(٢) سورة المدثر، الآيات (١ . ٦) .

(٣) انظر كتاب: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها، د/ رؤوف شلبي، ص ٤٢ وما بعدها، طبع: دار القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

ثانياً: إثبـات صدق الوحي وأنه حقاً من عند الله:

المتأمل في حالة الخوف، والترقب، وفزع المفاجأة عند نزول الوحي للمرة الأُولى، ثم تكرار فزعه ﷺ عندما رأى جبريل للمرة الثانية بعد الفتور، وذهابه إلى بيته يرتجف فؤاده وينادي على أهل بيته [زملوني زملوني] يدل على أن ما جاءه وحيٌ يُوحى من عند الله، وليس لخلوته في الغار، أو تفكره، أو تأمله دخل فيه، وإلا ما كان قد انتابه ما انتابه .

يقول الدكتور/ البوطي . رَحِمَهُ اللَّهُ .: "أما انقطاع الوحي [1] بعد ذلك ... فينطوي على مثل المعجزة الإلهية الرائعة، إذ في ذلك أبلغ الرد على ما يفسر به محترفو الغزو الفكري الوحي النبوي من أنه الإشراق النفسي المنبعث لديه من طول التأمل والتكرار، وأنه أمر داخلي منبعث من ذاته نفسها .

لقد قضت الحكمة الإلهية أن يحتجب عنه الملك الذي رآه لأول مرة في غار حراء، ... وأن يستبد به القلق من أجل ذلك، ثم يتحول القلق لديه إلى خوف في نفسه من أن يكون الله ﷻ قد قلاه بعد أن أراد أن يُشَرِّفهُ بالوحي والرسالة لسوء قد صدر منه ... إلى أن رأى ذات يوم الملك الذي رآه في حراء ... فعاد مرة أُخرى وقد استبد به الخوف والرعب إلى البيت حيث نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [2] .

إن هذه الحالة التي مر بها رسول الله ﷺ تجعل مجرد التفكير في كون الوحي إلهاماً نفسياً، ضرباً من الجنون، إذ من البداهة بمكان أن صاحب الإلهامات النفسية، والتأملات الفكرية، لا يمر إلهامه أو تأمله بمثل هذه الأحوال" [3] .

---

(1) يُسميه انقطاعاً وليس فتوراً . (2) سورة المدثر، الآيتان (١، ٢) .

(3) انظر: فقه السيرة النبوية، د/ محمد سعيد البوطي، ص٦٥ وما بعدها، الطبعة السابقة .

وبالتالي فما صاحب نزول الوحي من شدة ووجل للنبي ﷺ له ولأهل بيته آنذاك؛ دلالة واضحة وقاطعة على أن هذا القرآن وحيٌ حقاً من عند الله، وليس للنبي محمد ﷺ دخل فيه ولا تخيل، وبهذا يبطل قول كل متشكك أو متقول .

ثالثاً: إلهاب حماسه ﷺ للدعوة والرسالة:

من الدلالات الدعوية أيضاً أن الفتور كان مدعاة التشوق له ﷺ، وكان الالتقاء بعد الفتور ليزداد فرحاً، وليقبل على دعوته ورسالته، في لهفة وقوة ونشاط، وتُلهب الآيات القادمة بعد ذلك الفتور مشاعره وأحاسيسه، وتُصبح شعلة لا تخبوا ولا تنطفئ لأكثر من عشرين عاماً، مدة بعثته ﷺ، فيقوم وينذر، ويكبر، ويطهر ثيابه وفؤاده، دون مَنٍّ أو استكثار، وليكن الصبر حليفه وعدته وسلاحه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [1] .

❁ ❁ ❁

(1) سورة المدثر، الآيات (١ ـ ٧) .

المطلـب الثانـي

فتـور الوحي عند نزول سورة الضُحى ودلالته الدعويـة

يقول الله تعالى في مطلع السورة الكريمة: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾ [1] .

المعنـى العام للآيـات:

جاء في تفسير الإمام/ ابن كثير: "هذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعله فيه من الضياء ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ أي سكن فأظلم وأدلهم .... وهذا دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا ... ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ أي ما تركك، وما أبغضك. ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤﴾، وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا واعظمهم لها إطراحاً" [2] .

إثبـات فتور الوحي في سورة الضحـى:

أما عن فتور الوحي عند نزول هذه السورة الكريمة من سور القرآن الكريم فقد أورد الإمام/ البخاري في كتاب التفسير عن جندب ابن سفيان رضي الله عنه قال: ﴿ اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قَربَكَ منذ ليلتين أو ثلاثاً فأنزل الله ﷻ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ ﴾ [3] .

وفي حديث آخر عن الأسود بن قيس قال: ﴿ سمعت جندباً البجلي

---

(١) سورة الضحى، الآيات (١ ـ ٤) .

(٢) تفسير الإمام/ ابن كثير، ج٤ ص ٥٢٢، الطبعة السابقة .

(٣) رواه الإمام/ البخاري في كتاب: التفسير عند سورة الضحى، صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص ٢١٧، الطبعة السابقة .

قالت امرأة: يا رسول الله ما أرى صاحبك إلا أبطأك فنزلت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [١] .

قال الإمام/ البخاري قوله: ﴿﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾﴾ تُقرأ بالتشديد والتخفيف بمعنى واحد: ما تركك ربك، وقال ابن عباس: ما تركك وما أبغضك ﴾ [٢] .

يقول الإمام: ابن حجر في ذلك: (أما القراءة بالتشديد فهي قراءة الجمهور، وقرأ بالتخفيف عروة وابن هشام، وقال أبو عبيدة ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ يعني بالتشديد من التوديع و ﴿مَا وَدَعَكَ﴾ بالتخفيف من وَدَعَتُ، ويمكن تخريج كونهما بمعنى واحد على التوديع مبالغة من الودع، لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك) [٣] .

وفي تحقيق ابن حجر في اسم المرأة التي خاطبت النبي ﷺ في الحديثين السابقين، ومن تكون؟ هل هي زوجة أبي لهب، أم هي السيدة خديجة؟ فيقول عن الرواية الأُولى وفيها: [فجاءت امرأة فقالت يا محمد] قال: ([فجاءت امرأة] هي أُم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب، وبلفظ [فقالت امرأة من أهله] ومن وجه آخر بلفظ [حتى قال المشركون]، وفي رواية [فقالت خديجة] وفي رواية [فقالت خديجة ولا أرى ربك ...] وفي رواية [فقالت خديجة لما ترى من جزعه]، وهذان طريقان مُرْسَلان ورواتهما ثقات، فالذي يظهر أن كلاً من أُم جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل عَبّرت لكونها كافرة بلفظ [شيطانك]، وخديجة عبرت لكونها مؤمنة بفظ [رَبَّك أو صاحبك] وقالت أم جميل شماتة، وخديجة توجعاً"[٤]

(١) صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص٢١٧، الطبعة السابقة .
(٢) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة والطبعة .
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام/ ابن حجر العسقلاني، ج٨ ص ٥٨١، الطبعة السابقة .
(٤) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة والطبعة .

أما في الرواية الأخرى وفيها: [قالت امرأة يا رسول الله] فيرجح أنها السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها حيث يقول: (هذا السياق يصلح أن يكون خطاب خديجة دون الخطاب الأول، فإنه يصلح أن يكون خطاب حَمَّالة الحطب لتعييرها [بالشيطان] و (الترك] ومخاطبتها [بمحمد]، بخلاف هذه فقالت [صاحبك] وقالت [أبطأك]، وقالت [يا رسول الله]، وجَوَّز الكرماني أن يكون تصرف الرواة، وهو موجه لأن مخرج الطريقين واحد .

وقوله [أبطأك] أي صيرك بطيئاً في القراءة، لأن بطأه في الإقراء يستلزم بطء الآخر في القراءة، ووقع في رواية أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبه إلا أبطأ عنك" [1] .

فكل تلك الروايات وشروحات أهل الحديث عليها تُؤكد فتور الوحي عن النبي ﷺ عند نزول هذه الآيات البينات من سورة الضحى، وذلك بعد الفتور الأول بين [اقرأ]، و[المدثر] تثبيتاً لقلبه ﷺ، وتذكيراً له بنعمائه عليه نعمة تلو الأُخرى، حتى ترسخ قدمه في الدعوة، وليعلم أن الله نصيره وناصره، ولن يتخلى عنه أو يدعه .

الدلالــة الدعويـــة:

أولاً: ترقب الناس لنزول الوحـــي:

ظهر من الروايات السابقة مدى ترقب الناس لنزول الوحي على رسول الله ﷺ، مؤمنهم وكافرهم على حدٍّ سواء، حيث تمثل جانب المؤمنين . بناءً على شروحات الأحاديث السابقة . في السيدة خديجة . أم المؤمنين . رضي الله عنها وأرضاها، وأنسها بالوحي وهو يتنزل في بيتها وعلى زوجها رسول الله ﷺ، فتلحظ سعادته، وقيامه لربه ومناجاته إياه، فلما تأخر الوحي انزعجت فبادرت بسؤال النبي ﷺ عن هذا الإبطاء في الوحي، فقد رأت الفرحة تدب في بيتها، والإشراق يظهر

(1) فتح الباري، ج٨ ص ٥٨٢، الطبعة السابقة .

على مُحياه ﷺ، فلا تريد لهذه الفرحة أن تتوقف، ولا لهذا الإشراق أن يَفْتُر .

أمَّا جانب الكافرين فتمثل هو الآخر في حَمَّالة الحطب . وأمثالها . وشماتتها في عدم نزول الوحي، وعدم قراءة النبي ﷺ للقرآن، أو قيامه، فلعل هذا التأخر يكون فيه النهاية له . أي للوحي والرسالة والدعوة . فتفرح قلوبهم، وتُشفى صُدُورهم، ولكن هيهات لهم ذلك، فقد نزلت السورة مُصَدَّرة بهذا القسم ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ على عدم تركك يا محمد، فالله معك دوماً، وسوف يُعطيك ويُعطيك، حتى ترضى، فلا تأبه بهم وذرهم في طغيانهم يعمهون .

أو ما جاء في تفسير ابن كثير في هذا الصدد: "أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ودَّع محمداً ربُّه فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ .... أو رُمِيَ رسول الله ﷺ بحجر في أُصبعه فقال: هل أنت إلا أُصبع دُميت، وفي سبيل الله ما لقيت، فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ " [1] .

فهذا كله يظهر حالة الترقب للوحي من المؤمنين والكافرين على السواء، وفي هذا إشارة إلى اللفتة القوية التي أحدثتها هذه الدعوة، وهذا التحول الكبير في حياة الناس، والدويُّ الكبير لهذا الدين ووحيه العظيم .

ثانياً: إظهـار فرح النبي ﷺ وســـروره:

من الدلالات الدعوية أيضاً إظهار فرح النبي ﷺ وسروره بعد نزول آيات سورة الضحى، تثبيتاً لهذا القلب، وصقله حتى يتحمل أعباء الرسالة فتهون أمامه الصعاب .

فقد جاء في سيرة ابن هشام تحت عنوان [فترة الوحي ونزول سورة

(١) تفسير الإمام/ ابن كثير، ج٤ ص ٥٢٢، الطبعة السابقة .

الضحى] قال ابن إسحاق: (ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك حتى شَقَّ عليه فأحزنه. فجاءه جبريل بسورة الضحى، يُقسم له ربه، وهو الذي أكرمه بما أكرمه به، مَا ودعه وما قلاه، فقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ ، يقول: ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبك .... ثم يُعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره، ومَنِّه عليه في يتمه وعيلته وضلالته، واستنقاذه من ذلك كله برحمته ... ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ : أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدِّث، أي اذكرها وادعُ إليها، فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سِرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله" [١] .

وتحدث الإمام/ ابن كثير عن مندوحة إظهار الفرح والسرور بالتكبير عند قراءة سورة الضحى، وقال بعد ذكره لرواية في ذلك: "اختلف القرَّاء في موضع هذا التكبير وكيفيته، فقال بعضهم يكبر من آخر ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ وقال آخرون من آخر ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر، وذكر القُرَّاء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ثم جاءه الملك فأوحى إليه ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ السورة بتمامها كَبَّر فرحاً وسروراً) [٢] .

فظهر مما سبق مدى الحكمة الإلهية في تأخر نزول بعض الآيات على رسول الله ﷺ ليتشوق مؤمنهم ويتحسر كافرهم، ولترسخ قدمه ﷺ في النبوة والرسالة والدعوة إلى الله تعالى، فيُقدم لما أراده الله له بكل همة وإقدام وإصرار،

(١) سيرة ابن هشام، ج١ ص٢٢٥ وما بعدها بتصرف كثير، الطبعة السابقة .

(٢) تفسير ابن كثير، ج٤ ص ٥٢١، الطبعة السابقة .

وليثق أن تأخر الوحي عنه لا لأنه تعالى تركه وقلاه، بل لأنه اختاره واصطفاه، ولسوف يجزل له من العطايا ما يحب ويرضى .

المطلـب الثالـث

نمـوذج من فتور الوحي في سورة الكهـــف
ودلالته الدعويـة

جاء هذا النموذج في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] .

المعنـى العام للآيـــات:

في هذه الآيات تأديب وتعليم وتربية للأمة في شخص نبيها ﷺ، وذلك فيما يحسبه الناس هيناً وهو عند الله عظيم، في عدم التجرأ على الله تعالى وغيبه، وإسناد أمورنا إلى أنفسنا، وكأننا أصحاب الأمر والنهي في حاضرنا ومستقبلنا، ولا ندري أن أنفاسنا، وحركاتنا، وسكناتنا، إنما هي بأمر الله وإذنه ومشيئته: فرد الفعل إلى مشيئة العبد استقلالاً محذور محظور لأن المشيئة كلها لله ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [2] ولما في ذكر مشيئة الله، من تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه، والاستعانة من العبد لربه، ولمَّا كان العبدُ بشراً، لابد أن يسهو عن ذكر المشيئة، أمره الله أن يستثني بعد ذلك إذا ذُكِّر ليحصل المطلوب ويندفع المحذور" [3] .

سبب فتور الوحي في هذا النموذج من سورة الكهـف:

أما عن سبب فتور الوحي أو تأخره عند نزول هاتين الآيتين من سورة الكهف، فقد جاء في كُتب السيرة أنها نزلت مع آيات أخرى جواباً على أسئلة

(١) سورة الكهف، الآيتان (٢٣، ٢٤) .
(٢) سورة التكوير، الآية (٢٩) .

(٣) كتاب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ/ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، ص ٤٥١، الطبعة السابقة .

تقدم بها المشركون إلى رسول الله ﷺ بغرض التعجيز، فشاء الله له ولأصحابه التثبيت عكس ما أرادوا .

أورد ابن هشام في سيرته تحت عنوان: [قريش تسأل والرسول يجيب] قوله: "فجاءوا رسول الله فقالوا يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟، فقال لهم رسول الله ﷺ أخبركم بما سألتم غداً، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ . فيما يذكرون . خمس عشرة ليلة لا يُحدِث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أوجف أهل مكة، وقالوا وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مُكث الوحي عنه، وشَقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطوَّاف والرُّوَح" [١] .

وعبَّر ابن كثير عن هذا الفتور بقوله: "فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً" [٢] .

وينقل الإمام/ ابن حجر قولاً يُضمن نزول الضحى مع هاتين الآيتين من سورة الكهف في سبب نزول واحد جاء فيه: (فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر، فضاق صدره، وتكلم المشركون فنزل جبريل بسورة والضحى، وبجواب ما سألوا، وبقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٣] .

ثم يرد على هذا الرأي بقوله: "وذكر سورة الضحى عنه بعيد" لكن يجوز

(١) سيرة ابن هشام، ج١ ص٢٦٦، الطبعة السابقة .
(٢) تفسير ابن كثير، ج٣ ص٧٩، الطبعة السابقة .
(٣) سورة الكهف، الآيتان (٢٣، ٢٤). انظر: فتح الباري، ج٨ ص ٥٨١، الطبعة السابقة .

أن يكون الزمان في القصتين متقارباً فَضَمَّ بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأُخرى، وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث وإنما كان بعد ذلك بمدة والله أعلم" (١) .

والذي أراه أن لكلٍ من الموضعين نزوله الخاص، وسببه كما وَضُحَ فيما بينته قبلُ في موضع سورة الضحى .

وهذا ما يكاد يُجمع عليه الأقدمون والمُحْدَثون، يقول د/ غلوش: "وقد ثبت أن الوحي كان يفتر عن النبي ﷺ أحياناً كما حدث قبل نزول سورة الكهف فإن النبي ﷺ لما سُئل عن أصحاب الكهف قال: سأحدثكم بها غداً ولم يستثن ففتر عنه الوحي خمسة عشر يوماً. فقال الله له: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾" (٢) .

فَدلَّ ذلك كله على فتور الوحي على رسول الله ﷺ، في هذا الموضع من سورة الكهف، تثبيتاً لقلبه ﷺ. وأصحابه الكرام، ورسوخ الإيمان في قلوبهم، وَحَثَّهم على الصبر، ووضع أيديهم على نماذج عملية للسابقين قبلهم في صبرهم، وقوة تحملهم وصلابة عقيدتهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم .

الدلالــة الـدعويـــة:

أولاً: تثبيت الصحابة على الإيمـان:

ظهر من خلال سبب نزول الآيات أنها نزلت بصدد الحديث عن أجوبة لأسئلة سُئل عنها رسول الله ﷺ من قِبَلِ المشركين، والعجب أن الأجوبة التي

(١) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة والطبعة .

(٢) سورة الكهف، الآيتان (٢٣، ٢٤). انظر كتاب: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، د/ أحمد أحمد غلوش، ص ٣٣٥، الطبعة السابقة .

طلبوها جاءت مناسبة تماماً لحال المسلمين آنذاك، حيث كانوا في مكة مضطهدين، مستضعفين، يُسَامون سُوءَ العذاب من قِبَلِ هؤلاء المشركين .

يقول الشيخ/ محمد الغزالي: "منذ جَهر الرسول بالدعوة إلى الله، وعالن قومه بضلال ما ورثوه عن آبائهم، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تَعُدُّ المسلمين عصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت في الحرم الآمن من دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وجعلت مقامهم تحملاً للضيم وتوقعاً للويل .

وصاحبت هذه السخائم المشتعلة حرب من السخرية والتحقير قُصِدَ بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فرُمي النبي ﷺ وصحابته بتهم هازلة وشتائم سفيهة، وتألفت جماعة للاستهزاء بالإسلام ورجاله، على نحو ما تفعل الصحافة المعارضة عندما تنشر عن الخصوم نكتاً لاذعة وصوراً مضحكة للحَطِّ من مكانتهم لدى الجماهير" [١] .

ويتابع فضيلته قائلاً: "وانقلبت هذه الحرب إلى تنكيل وسفك دم بالنسبة إلى المستضعفين من المؤمنين، فمن ليست له عُصبة تدفع عنه لا يعصبه من الهوان والقتل شيء بل يُحبس على الآلام حتى يكفر أو يموت أو يَسْقُطَ إعياءً" [٢] .

فكان الصحابة الأجلاء في هذه الفترة في أمس الحاجة إلى جرعة صبر يتصبرون بها، أو إلى قصة، أو همسة، أو لمسة حانية، تلمس قلوبهم المعذبة أكثر من أجسادهم، فتُثَبِّتهم على الإيمان فناسبت قصة أصحاب الكهف حال المسلمين المعذبين في مكة ولمست قلوبهم ونزلت عليها برداً وسلاماً، فصبروا على التعذيب والإيلام .

(١) فقه السيرة، الشيخ/ محمد الغزالي، ص ١٠٩ وما بعدها، الطبعة السابقة .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص١١٠ والطبعة .

يقول تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ [١] .

"شكر الله لهم إيمانهم فزادهم هدى ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي صبَّرناهم وثبتناهم، وجعلنا قلوبهم مطمئنة في تلك الحالة المزعجة، وهذا من لطفه تعالى بهم وبره، أن وفقهم للإيمان والهُدى، والصبر، والثبات، والطُمأنينة" [٢] .

فأقول ... أجرى الله هذا الخير على ألسنة المشركين بتلك الأسئلة التي تَسَببت
في تثبيت الصحابة على الإيمان .

فهم قد أرادوا التعجيز، وأراد الله التثبيت للمؤمنين عن طريق ما أجراه الله على السنتهم من أسئلة تسببت الإجابة عنها في تثبيت المؤمنين على إيمانهم، ولو كانوا يعلمون أن ذلك سيحدث ما سألوا ... ولكنها مشيئة الله وقدرته ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٣] .

ثانياً: عتاب النبي ﷺ:

في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٤] .

في هذا القول الكريم عِتَابٌ للنبي ﷺ، بل كأن هذا العتاب هو سببُ

(١) سورة الكهف، الآيتان (١٣، ١٤) .
(٢) كتاب: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ/ عبد الرحمن السعدي، ص ٤٤٩، الطبعة السابقة .
(٣) سورة الأنفال، الآية (٣٠) .
(٤) سورة الكهف، الآيتان (٢٣، ٢٤) .

فتور الوحي وتأخره عن النبي ﷺ كل هذه المدة التي وصلت إلى خمسة عشر يوماً، بسبب أنه لم يقل [إن شاء الله] .

يقول الإمام/ القرطبي . رَحِمَهُ اللَّهُ .: "قال العلماء عاتب الله تعالى نبيه ﷺ على قوله للكفار حين سألوه عن الروح، والفتية، وذي القرنين؛ غداً أُخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك، فاحتُبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً، حتى شَقَّ ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مُفَرِّجة .

وأُمر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأُمور إني أفعل غداً كذا وكذا، إلاَّ أن يُعَلِّق ذلك بمشيئة الله ﷻ، حتى لا يكون محققاً لحكم الخبر، فإنه إذا قال: لأفعلن ذلك، ولم يفعل،، كان كاذباً، وإذا قال لأفعلن ذلك إن شاء الله خرج عن أن يكون محققاً للمخبر عنه، واللام في قوله [لشيءٍ] بمنزلة في أو كأنه قال لأجل شيء" (١) .

ففي الآيات القرآنية في هذا المقام درس عملي في الأدب، حيث اهتم القرآن الكريم بالتأديب أكثر من اهتمامه بالأجوبة على ما طُرح . خُبثاً . من أسئلة، حتى وإن كان في أمس الحاجة إليها، حتى لا يتقول المرجفون في مكة على النبي ﷺ، ومدى صدقه، وصدق دعوته .

لكنَّ القرآن لم يأبه بالأجوبة، فإذا كانت هذه الأسئلة بإيعاز من اليهود . لعنهم الله . فالذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام، هو الذي يُنزل القرآن على محمد ﷺ، فالمصدر واحد وهو الله تعالى .

وبالتالي فالأجوبة حاضرة وموجودة، ويمكن أن ينزل بها جبريل على الفور وفي أية لحظة، لكن المقام هنا ليس مقام أجوبة وأسئلة، بقدر ما هو مقام [تأديبي] و [تربوي] في المقام الأول، تتأدب به الأُمة جمعاء في شخص النبي

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام/ عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج١٠ ص٣٨٥، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأُولى، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م .

ﷺ، فترسخ عندهم [ثقافة المشيئة] بل تكن جزءاً من العقيدة، فلا يُصدرون أمراً ولا نهياً، ولا يُحددون موعداً في حياتهم العامة والخاصة، إلا بعد إسناد الأمر برمته إلى الله ومشيئته، وإمضائه .

(إن مفردات هذه العقيدة تجاوزت العلم النظري إلى تفاعل نفسي واجتماعي، كان قوامه التربية العملية التي انتهجها الإسلام في مكة وربَّى أبناءه عليها .

إنهم تعلموا من خلال الواقع أنه ﷺ لا يعلم الغيب، وأنه بشر، وأن الأمر لله من قبل ومن بعد .... لم يتعلموها نظرية تُقرأ، وإنما عايشوها حِسَّاً وواقعاً لحظة بعد لحظة، واستقر في يقينهم أن الله فَعَّالٌ لما يريد، وأن الرسول ﷺ إنما هو مبلغ ومنذر، يقود الناس إلى طريق الحق بأمر الله تعالى" [١] .

وهكذا كان في فتور الوحي وتأخره عند نزول تلك الآيات؛ حكمة إلهية، ورعاية ربانية لنبيه الأمين ﷺ ولأمته من بعده، حتى تسمو، وترتقي بتعاليم ربها، حتى في أبسط أمور الحياة، فما يحسبه الناس هيناً وبسيطاً، يصبح عند هذه الأُمة عقيدة، وتربية، وتأديباً .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [٢] .

❁ ❁ ❁

(١) انظر كتاب: منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، د/ محمد أمحزون، ص ٦٨ وما بعدها بتصرف كثير، طبع: دار السلام للطباعة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .

(٢) سورة الكهف، الآيتان (٢٣، ٢٤) .

المطلب الرابع

نموذج من فتور الوحي في سورة النور ودلالته الدعوية

جاء هذا النموذج في حديث السورة الكريمة عن حادثة الإفك وبراءة السيدة عائشة . أُم المؤمنين . رضي الله عنها وأرضاها وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [1] .

المعنى العام للآيات:

يقول الإمام/ ابن كثير في تفسيره: "هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت، والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه . صلوات الله وسلامه عليه .، فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ﴾ أي جماعة منكم ... فكان المقدم في

(1) سورة النور، الآيات (١١ . ٢٠) .

هذه اللعنة عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجَوَّزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن" [١] .

فتتحدث الآيات عن تلك الفجيعة التي أصابت بيت رسول الله ﷺ، وفي أهله، بل وفي أحب أهله إليه، وهي السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وأرضاها، والتي لأجلها فتر الوحي شهراً عن رسول الله ﷺ .

وقد ذُكرت تلك الحادثة بشكل مُطول، ومُفصل نظراً لما تحويه من عظاتٍ وعبر .

ونظراً لطولها سأكتفي بثلاث وقفات فيها:

الوقفة الأولى: لحظة سماع السيدة عائشة لهذا البهتان العظيم .

الوقفة الثانية: لحظة تنازع الأوس والخزرج في حادثة الإفك .

الوقفة الثالثة: لحظة تنزل الوحي على رسول الله ﷺ ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها .

الوقفة الأولى: لحظة سماع السيدة عائشة لهذا البهتان العظيم:

تحدث الناس فيما تحدثوا، وخاضوا فيما خاضوا من أمر الإفك، وصاحبة الشأن غافلة، طاهرة، لا تدري بما يُحاك ضدها، وصدق ربنا حينما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [٢] .

قال ابن عباس: (نزلت في عائشة خاصة) [٣] (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: رُميت بما رُميت به، وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك) [٤] .

---

(١) تفسير الإمام/ ابن كثير، ج٣ ص٢٦٨، الطبعة السابقة .

(٢) سورة النور، الآية (٢٣) .

(٣) تفسير ابن كثير، ج٣ ص٣٧٦، الطبعة السابقة .

(٤) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة والطبعة .

فَظَلَّت السيدة عائشة على غفلتها وطهارتها والناس يتكلمون، حتى خرجت ليلة لحاجتها مع أُم مسطح فَعَثُرت، فَسَبَّت ابنها مسطح، فأنكرت السيدة عائشة عليها ذلك وقالت لها: "بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت وما الخبر فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قالت: قلت أوقد كان هذا؟ قالت: نعم والله قد كان، قالت: فو الله ما قدرت أن أقضي حاجتي، ورجعت، فو الله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي، وقلت لأُمي يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ..." [1] .

فكانت تلك مفاجأة مدوية للسيدة عائشة رضي الله عنها، فما رأت من صفوان بن المعطل حين تخلفت عن الجيش إلا خيراً، حيث أناخ بعيره، وتأخر عنها حتَّى ركِبَتْ، ودخل المدينة ضحىً يقود بعيره، والناس ينظرون .

الوقفة الثانية: لحظة تنازع الأوس والخزرج في حادثة الإفك:

ألقت حادثة الإفك بظلالها على مجتمع المدينة الساكن، الآمن، المطمئن، فأزعجت الحادثة سكونه، وهيجت أمنه وطمأنينته، نظراً لأن من تولى كبره وهو عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج .

يروي الإمام البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها وفيه: ﴿ فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أُبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فو الله ما علمت على أهلي إلاَّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه، إن كان من الأُوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا

(1) السيرة النبوية، لابن هشام، ج٣ ص١٨٩ وما بعدها، الطبعة السابقة .

أمرك، قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحَمِيَّة فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أُسَيْدُ بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتثاور الحيَّان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت، قالت فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم ... ﴾ [1] .

فانظر كيف أجج هذا الحدث الجلل الموقف بين الأوس والخزرج، وجعل يومهم عصيباً حتى كادا يقتتلان، بل كادت هذه الحادثة أن تعصف بالمدينة برمتها، وتُدخل الخراب والدمار إلى جميع بيوتها بيتاً بيتاً، والعداوة التي استأصل شأفتها الإسلام بين الأوس والخزرج كادت تطل برأسها البغيض من جديد لتقضي على الأخضر واليابس، لولا حكمة النبي ﷺ، وتدخله بينهم في الوقت المناسب .

الوقفة الثالثة: [اللحظة الحاسمة] لحظة تنزل الوحي على رسول الله ﷺ ببراءة السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها:

في ظل هذا الجو الخانق، وتلك العاصفة العاتية التي هبَّت فجأة على المدينة الهادئة، فزلزلت أركانها، وعصفت بقلوب أحبابها، فحولتها في لحظة من الأمن إلى الخوف، ومن الطمأنينة إلى القلق والاضطراب، ومن الهدوء والسكينة إلى التوعد بالمنازلة والاقتتال، حتى صدق فيهم قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [2] .

---

(1) رواه الإمام البخاري في كتاب: التفسير [سورة النور] عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها، صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص ١٦٤ وما بعدها، الطبعة السابقة .

(2) سورة البقرة، الآية (٢١٤) .

فكان نصر الله قريباً، وجاء الفرج، وعَمَّ الخير، ونزلت البراءة من فوق السبع الطباق .

تقول السيدة عائشة بعدما حدث من اضطراب بين الأوس والخزرج بسبب حادثة الإفك: ﴿ فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدي ... فبينما نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله ﷺ، فَسَلَّم ثم جلس، قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث الوحي شهراً لا يُوحى إليه في شأني، قالت فتشهَّد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه، قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة .... ثم تحولت فاضطجعت على فِرَاشي، قالت وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنتُ أظن أن الله منزل في شأني وحياً يُتلى ... فو الله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمَان من العَرَق وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت فلما سرِّي عن رسول الله ﷺ سَرِّي عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: يا عائشة أمَّا الله ﷻ فقد بَرَّأك، فقالت أُمي قومي إليه، قالت فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله ﷻ، وأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [1] العشر الآيات كلها.

وفي سيرة ابن هشام أن رسول الله ﷺ قال عندئذٍ: "أَبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك، قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فخطبهم، وتلا

(١) رواه البخاري، كتاب: التفسير، سورة النور، صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص١٦٥ وما بعدها، الطبعة السابقة .

عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك" [١] .

وهكذا جادت السماء بخيرها على أهل الأرض، ونزل البرد والسلام بآيات بينات من نورٍ تُتلى إلى يوم القيامة، ليميز الله الخبيث من الطيب، وتزيح حادثة الإفك الأقنعة الزائفة التي تتخفى وراءها وجوه المنافقين .

وصدق ربنا حين قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [٢] .

الـدلالـة الدعــويـة:

أولاً: تمحيـص المؤمنـين:

في فتور الوحي وتأخره عن النبي ﷺ في حادثة الإفك، وترك الباب مفتوحاً للقيل والقال دون حَسْمٍ من السَّماء حتى وصل الأمر بالنبي ﷺ أن سأل واستشار؛ في ذلك كله بلاء مبين، وامتحان عظيم للنبي ﷺ، وأهل بيته الأطهار، وأصحابه الكرام، خاصة وقد ظهر في المدينة عدو جديد وسلاح جديد يُحَارَبُ به الإسلام ألا وهو النفاق [٣] .

يقول الإمام/ ابن القيم: فإن قيل فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها،

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ج٣ ص١٩١ وما بعدها، الطبعة السابقة .

(٢) سورة النور، الآية (١١) .

(٣) يعقد الشيخ/ الغزالي . رحمه الله . مقارنة بين عداوة الرجلين [أبي جهل] في مكة و[ابن سلول] في المدينة فيقول: (البون بعيد بين أصناف الرجال الذين عادوا الإسلام ورسوله. لقد كان أبو جهل خصماً لدوداً لكل من دخل في هذا الدين، وكان طاغية عنيداً لا تنتهي لجاجته، إلا أنه كان كالضبع المفترس لا يُحسن الالتواء والوقيعة، حمل السيف في وضح النهار، ومازال يقاتل به حتى صُرع .

أما عبد الله بن أُبي فقد اختفى كالعقرب الخائنة، ثم شرع يلسع الغافلين، قبع هذا المنافق في جنح الظلام، وبدأ ينفث الإشاعات المريبة، وتدلى في غوايته إلى حضيض بعيد فلم يبال أن يتهجم على الأعراض المصونة، وأن ينسج حولها مفتريات يندى لها جبين الحرائر العفيفات). فقه السيرة، الشيخ/ محمد الغزالي، ص ٣٠٧ وما بعدها، الطبعة السابقة .

وسأل عنها، وبحث، واستشار، وهو أعرف بالله، وبمنزلته عنده، وبما يليق به، وَهَلاَّ قال ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [١]. كما قاله فضلاء الصحابة .

فالجواب: إن هذا من تمام الحكمة الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها، وامتحاناً وابتلاءً لرسوله ﷺ، ولجميع الأُمة إلى يوم القيامة، ليرفع بهذه القصة أقواماً، ويضع بها آخرين، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وإيماناً، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حُبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهراً في شأنها لا يُوحى إليه في ذلك شيء؟ لتتم حكمته التي قدَّرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله، وأهل بيته، والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم" [٢] .

ومن هنا "فقد انطوت قصة الإفك على حكمة إلهية باهرة، استهدفت تثبيت العقيدة الإسلامية، ورد ما قد يُعرض من شبه عليها، وتلك هي الخيرية التي عبر الله عنها بقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾" [٣] .

فكانت حادثة الإفك المؤلمة مُمَحِّصة للمؤمنين، مُثبتة للعقيدة في قلوبهم، كاشفة للمنافقين، فاضحة لأفعالهم ومؤامراتهم .

ثانياً: اشتياق المؤمنين إلى الوحي وانتظاره انتظار الغيث من السماء:

كلما تأخر الوحي في هذه المحنة، كلما تقلبت الوجوه المؤمنة في

(١) سورة النور، الآية (١٦) .

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام/ ابن قيم الجوزية، ج٢ ص١٢٧، الطبعة السابقة .

(٣) سورة النور، الآية (١١)، والنقل من كتاب: فقه السيرة النبوية، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٢١٢، الطبعة السابقة .

السماء، وتطلعت الأفئدة إلى ربها راجية أن تتحول المحنة إلى منحة، وينهمر الوحي انهمار الغيث من السماء فيُحيي الأرض بعد موتها، ويُطمئن القلوب بعد اضطرابها، ويشفي الصدور بعد إعيائها، "فكان من حكمة حبس الوحي شهراً، أن القضية نضجت، وتمحضت، واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلعت إلى ذلك غاية التطلع، فوافى الوحي أحوج ما كان إليه رسول الله ﷺ وأهل بيته، والصديق وأهله، وأصحابه والمؤمنون، فوَرَدَ عليهم ورود الغيث على الأرض، أحوج ما كانت إليه فوقع منهم أعظم موقع، وألطفه، وسُرّوا به أتم السرور، وحصل لهم به غاية الهناء، فلو أطلع رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك لفاتت هذه الحِكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها" (١) .

فكانت تلك حكمة جليلة، ودلالة عظيمة، تجعل المؤمنين دائماً يتطلعون إلى الله، وإلى ما عند الله، وفي ذلك انتصار لهذا الدين الذي آمنوا به، وفَرَحٌ به، عكس معبوداتهم القديمة التي لم تسمعهم يوماً، ولم تستجب لهم ساعة .

ثالثاً: اللّه يتولى بنفسه الدفاع عن نبيه وعرضه وأهل بيته الأطهار:

ظهر بوضوح في هذه الحادثة، وفي تأخر الوحي عن النبي ﷺ أن الله أرجأ الدفاع فيها لنفسه، ولم يجعل كلمة الفصل فيها إلا للوحي الذي يُتلى إلى يوم القيامة، ولم يدع فيها لأحدٍ قولاً أو فصلاً، بل القول والفصل له سبحانه، وفي هذا إعلاء لمكانه ومقامه ﷺ عند ربه "فسبحانه أَحَبَّ أن يُظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يُخرج رسوله عن هذه القضية، ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد على أعدائه، وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا يُنسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك، الثائر لرسوله وأهل

(١) زاد المعاد، ج٢ ص١٢٧، الطبعة السابقة .

بيته" [١] .

ولا يخفى ما في ذلك من الدلالة على محبة الله لرسوله، وقربه له، وغيرته على عرضه، وأنه معه في كل لمحة وكل نفس يُؤازره ويُدافع عنه وينافح، يقول تعالـى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٢] فإذا كان هذا في مقام المؤمنين عامة، فما بالنا بنبيه وحبيبه ومصطفاه ﷺ .

(١) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة والطبعة .

(٢) سورة الحج، الآية (٣٨) .

رابعًا: نموذج يُحتذى في صبر النبي ﷺ:

في حادثة الإفك وفتور الوحي وتأخره عن النبي ﷺ، وشدة الأذى الذي لحق به وبأهل بيته الأطهار؛ درس عملي في صبره ﷺ وَسَط هذه الأمواج المتلاطمة من الإيحاءات المغرضة، والإشاعات الكاذبة، والغمز واللمز، والأكاذيب المُلّفقة المرتبة، ... وَسَط هذا كله ظهر ثبات النبي ﷺ وصبره حتى ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [1] .

يقول الإمام/ ابن القيم: "لما كان رسول الله ﷺ هو المقصود بالأذى، والتي رُميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءاً قط، وحاشاه وحشاها، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك قال: ﴿ من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما عَلِمْتُ على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً،، وما كان يدخل على أهلي إلا معي ﴾ [2] فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به، وَفَّي مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه، حتى جاءه الوحي بما أقر عينه، وسرَّ قلبه، وعظَّم قدره، وظهر لأمته احتفال ربه به، واعتناؤه بشأنه" [3] .

فأثبت هذا الامتحان، وذلك الابتلاء، قوة وثبات وصبر النبي ﷺ، حتى وهو يُؤذى في شرفه، ويُرمى في عرضه، ليكون نموذجاً وقدوة في الصبر والتَّصبر والاحتساب ﷺ .

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨١) .

(٢) انظر ما جاء في رواية البخاري في ص ٥٦ .

(٣) زاد المعاد، ج٢ ص ١٢٧، الطبعة السابقة .

خامساً: أم المؤمنين وافتقارها إلى الله وحـده:

في هذه المحنة الأليمة لم تتعلق أُم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها إلاَّ بالله تعالى، العالم بحالها، الخبير بصدقها وطهارتها ونقائها، فما كان ما كان إلاَّ "لتتم العبودية المُرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها، والافتقار إلى الله. والذل له، وحُسنُ الظن به والرجاء له ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيأس من حصول النُّصرة والفرج على يد أحد من الخلق، ولهذا وفَّت لهذا المقام حقَّه لماَّ قال لها أبواها قومي إليه وقد أنزل الله عليه براءتها فقالت: [والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي]" [1] .

فحينما أحاطت هذه المحنة بالسيدة عائشة لم تلتمس الفرج والمخرج إلا من الله تعالى، وهذا من أعظم الدلالات الدعوية في فتور الوحي وتأخره عن سيد البرية ﷺ، حيث تتعلق قلوب المؤمنين من الصحابة بالوحي ينزل فيُزيح كل كُربة، ويكشف كل غمة، ينصر كل مظلوم، ويكشف كل ظالم، يروي الظمأى، ويحمي الهلكى، ويحمل بشرى التائبين، وبراءة الصادقين .

فسبحان من كان هذا كلامه، ينزله بحكمة، ويُؤَخِرَهُ لحكمة ليمحص المؤمنين، ويزدادوا إيماناً بربهم وكتابهم ورسولهم .

سادساً: إبراز الجانب الإنساني للنبي ﷺ وصدقه في البلاغ عن ربه:

كان من أبرز الدلالات في هذه الحدث الأليم؛ هو إظهار إنسانيته ﷺ وبشريته، وأنه يتألم مما يتألم به الناس، ويتأذى مما يتأذون به، ومع ذلك صبر واحتسب حتى نزل الوحي قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة .

يقول د/ البوطي: "كان من مقتضى الحكمة الإلهية في إبراز هذا الجانب

(1) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة، وانظر ما جاء في رواية الإمام البخاري في هذا الصدد في ص ٥٩ .

الإنساني المجرد فيه ﷺ أن يتأخر الوحي كل هذه الفترة التي تأخرها، كي تتجلى للناس حقيقتان، كل منهما غاية من الأهمية:

أما الحقيقة الأولى: فهي أن النبي ﷺ لم يخرج بنبوته ورسالته عن كونه بشراً من الناس، فلا ينبغي لمن آمن به أن يتصور أن النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية فينسب إليه من الأمور أو التأثير في الأشياء ما لا يجوز نسبته إلا لله وحده .

أما الحقيقة الثانية: فهي أن الوحي الإلهي ليس شعوراً نفسياً ينبثق من كيان النبي ﷺ كما أنه ليس شيئاً خاضعاً لإرادته أو تطلعه وأُمنياته إذ لو كان كذلك، لكان من السَّهْلِ عليه أن يُنهي هذه المشكلة من يوم ميلادها، ويُريح نفسه من ذيولها ونتائجها، ويجعل مما يعتقد من الخير والاستقامة في أهله قرآناً يُطمئنُ به أصحابه المؤمنين، ويُسْكِتَ الآخرين من أصحاب الفضول، ولكنَّه لم يفعل، لأنه لا يملك ذلك" [1] .

فتحمَّل ﷺ ما تحمَّل حتى تَظْهَر بشريته ونبوته في آن واحد، وليوقن الجميع صدقه فيما بلَّغ عن ربه، وتُفصحُ الأحداث عن عدم كذبه، أو اختلاقه، حتى وهو في أحلك أوقاته ﷺ .

سابعاً: التحذير من الإشاعات الكاذبة ومحاربتها في مهدها:

في حادثة الإفك ظهر جليّاً خطر الإشاعات الكاذبة، ودورها في زعزعة الاستقرار داخل الأمة، فلم يكن الهدف قذف امرأة، بقدر ما كان زعزعة العقيدة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله .

ومن هنا كانت هذه الحادثة المؤلمة للجميع، رسولاً، وبيتاً نبوياً، وأُمة بأسرها، وفي تأخر الوحي؛ عاملاً قوياً في طفح الإشاعات وظهورها كالورم

(1) فقه السيرة النبوية، د/ البوطي، ص ٢١٠ وما بعدها، الطبعة السابقة .

الخبيث، يبدأ صغيراً، ثم يكبر حتى يُستأصل من جذوره .

وهكذا يفتُر الوحي ويتأخر حتى تَكْبُر الإشاعة، ويطفُو أَصحابُها على السطح كما يطفو [السمك الميت]، فيظهروا بخبثهم وفسادهم ورائحتهم الكريهة للقاصي والداني، ويُشار إليهم بالبنان فُيتقى شرهم ومكرهم، وليحذر المؤمنون التائبون الوقوع مرة أُخرى في مثل تلك الإشاعات المُغرضة ممن مردوا على النفاق، فتخلص توبتهم، وتصفو عقيدتهم، وليتثبتوا من خبر الفاسق والمنافق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ (١) .

ثامناً: أبو بكر الصديق ونموذج يُحتذى في كظم الغيظ والعطاء:

برز في هذه الحادثة أيضاً امتحان من نوع آخر؛ ألا وهو الامتحان في العطايا والإنفاق، وأنها لابد وأن تكون لله وفي الله، دون انتظار مصلحةٍ أو دفع مضرة .

وقد نجح أبو بكر الصديق ﷺ وأرضاه في هذا الامتحان، واستحق أن يكون نموذجاً يُحتذى، وقدوة تُتْبع في التعامل مع هذا الابتلاء .

فعلى الرغم مما كان يعتصر قلبه من آلام تجاه من خاضوا في عرض ابنته السيدة عائشة ﷺ وأرضاها، إلا أنه انصاع لأمر الله ووحيه واعاد النفقة على أحد هؤلاء الذين لاكت السنتُهم هذا الحديث البغيض وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢ ﴾ (٢).

يقول الإمام/ ابن كثير: "هذه الآية نزلت في الصديق ﷺ حين حَلَف أن

(١) سورة الحجرات، الآية (٦) .

(٢) سورة النور، الآية (٢٢) .

لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبداً بعدما قال في عائشة ما قال، فلما أنزل الله براءة أُم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأُقيم الحد على من أُقيم عليه، شَرَع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة، بعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما يُنفق عليه أبو بكر ﷺ، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زَلَقَ زَلْقَةً تاب الله عليه منها، وضُرِبُ الحدَّ عليها، وكان الصديق ﷺ معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب"[1].

وهكذا كان لتأخر الوحي وفتوره في تلك الحادثة [حادثة الإفك] حكمة بالغة، ودلالة عظيمة، ليمحص الله المؤمنين، ويلمس الناس بأنفسهم صدق نبيهم ﷺ، وطهارة أهل بيته من كل دنس وسُوء، فيقبلوا على البيت النبوي الطاهر للعلم والتعلم، ولينهلوا من آيات الله والحكمة، قال تعالى مخاطباً أُمهات المؤمنين: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤ ﴾[2]، وليتحلقوا حول هذا البيت يسألون ويستفسرون، مسترشدين من كل سؤال، مستهدين بكل جواب، وصدق ربنا حين قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾[3]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾[4] .

(١) تفسير ابن كثير، ج٣ ص ٢٧٦، الطبعة السابقة .
(٢) سورة الأحزاب، الآية (٣٤) .
(٣) سورة النور، الآية (١١) .
(٤) سورة النساء، الآية (١٩) .

المبحث الثالث

شُبهـات حول فتور الوحي وصوره والرد عليهـا

وسأكتفي في هذا المبحث بشبهتين:

الشبهة الأولى: الزعم بفقدان النبي ﷺ للوعي وقت نزول الوحي وبعده .

الشبهة الثانية: الزعم بمحاولة النبي ﷺ التَّردي من أعالي الجبال لفتور الوحي وتأخـره .

الشبهة الأُولى والرد عليها

الزعم بفقدان النبي ﷺ للوعي وقت نزول الوحي وبعده

أورد هذه الشبهة صاحب كتاب . [قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية] . نقلاً عن الموسوعة [١] في موضوع الوحي جاء فيها "إن المسلمين يعتقدون أن القرآن نزل على محمد مُنَجَّماً في مدة تزيد على عشرين عاماً، وفي كل مرة كان ينزل الوحي على محمد كان يُقال بأنه يُصاب بغيبوبة أو نشوة، وخلالها ينزل عليه جبريل الملك لتبليغه بالوحي، وعندما كان محمد يعود إلى وعيه ويصحو

---

(١) الموسوعة البريطانية: هي موسوعة عامة باللغة الإنجليزية، تُصدرها شركة الموسوعة البريطانية المحدودة الخاصة، وهي شركة أمريكية تأسست في أدنبرة بإسكتلندا خلال القرن الثامن عشر، ومقرها الرئيسي شيكاغو الولايات المتحدة، واشتهرت بنشرها الموسوعة البريطانية. والمقالات في الموسوعة تستهدف القراء المتعلمين والمثقفين، ويكتبها ١٠٠ موظف بدوام كامل، وأكثر من ٤٤٠٠ مساهم، وتُعدُ من أشهر الموسوعات سعة واطلاعاً .

وصدرت أول طبعة ما بين عامي ١٧٦٨ . ١٧٧١م تحت مُسمى دائرة المعارف، وهي أقدم موسوعة مازالت تُنشر بصفة مستمرة .

أهدافها: خلال تاريخها كان للموسوعة هدفان: تحقيق مرجع متميز، وتوفير مواد تربوية لمن أراد الدراسة، وفي عام ١٩٧٤م تبنت الطبعة الخامسة عشر هدفاً ثالثاً وهو أنْظَمَة كل المعرفة الإنسانية .

الحقبات التاريخية للموسوعة:

يمكن تقسيم حقبات تاريخ الموسوعة إلى خمس حقبات أساسية:

الحقبة الأولى: من الطبعة الأُولى إلى الطبعة السادسة ١٧٦٨ . ١٨٢٦م .

الحقبة الثانية: من الطبعة السابعة وحتى الطبعة التاسعة، أي ما بين عامي ١٨٢٧ . ١٩٠١م .

الحقبة الثالثة: من الطبعة العاشرة إلى الطبعة الرابعة عشر، أي ما بين عامي ١٩٠١ . ١٩٧٣م .

الحقبة الرابعة: من الطبعة الخامسة عشر، أي ما بين ١٩٧٤ . ١٩٩٤م .

الحقبة الخامسة: من ١٩٩٤م وحتى الآن .

وفي ٢٠١٢/٣/١٤م أعلنت الموسوعة البريطانية الشهيرة وقفها إصدار طبعات ورقية جديدة، على أن تكون الطبعات المستقبلية عبر الإنترنت فقط، وفي ٩ ديسمبر ٢٠١٨م احتفلت إسكتلندا بمرور ٢٥٠ عاماً على صدور الموسوعة البريطانية بتنظيم سلسلة من الفعاليات. انظر: موقع موسوعة ويكيبيديا، والبوابة العربية للأخبار، وموقع اليوم السابع .

كان يتلو كلمات الوحي إلى الأشخاص الموجودين حوله" [١] .

وبعد إيراده للشبهة يقول: "إن بعض المستشرقين كان يصف حالة الوحي بأنها نوع من الصرع، والصرع . كما نعلم . مَرض خِلقي يُصابُ من ابتُلوا به بنوبات، يكون النسيان من أبرز سماتها وصفاتها، وهذا كان بعيداً عن الرسول ﷺ كل البعد، بل كان ﷺ شديد التذكر" [٢] .

ثم يتابع القول: "إن حالة الوحي لم تكن حالة غيبوبة يفقد النبي ﷺ فيها وعيه ورشده . كما جاء في الموسوعة . ولكنه ﷺ حينما كان يأتيه الوحي كان يتهيأ له ليتلقى ما يقول، وكان في وعيه التام بعيداً عن حالات الغيبوبة والإغماء" [٣].

تـعـقـيـب:

بعد إيراد ما سبق مما جاء في الموسوعة البريطانية عن تلك الشبهة وما أَردفها من تعقيب للدكتور/ فضل عباس؛ أقول: إن الناظر في حديث النبي ﷺ عن صُور الوحي والذي أورده الإمام البخاري . رَحِمَهُ اللَّهُ . [٤] يلحظ أن النبي ﷺ قد تكلم عن وعيه وإدراكه التام لكل ما يُوحى به إليه بواسطة جبريل عليه السلام بعد انفصامه عنه، فيقول ﷺ: ﴿ فيفصم عني وقد وَعَيْتُ عنه ﴾ .

ويقول أيضاً: ﴿ وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ﴾.

فتكرار النبي ﷺ لمصطلح ﴿ وَعَيَتُ عنه ﴾ و ﴿ فأعي ما يقول ﴾ دلالة مؤكدة . بل أقول ربما متعمدة . منه ﷺ لخرس مثل تلك الألسنة المتقولة عليه ﷺ في كل زمان ومكان .

---

(١) انظر كتاب: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، دكتور/ فضل حسن عباس، ص ١٦٥، في ترجمة لنص الموسوعة البريطانية، إصدار: ١٩٩٩م، طبع: دار الفتح، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٧ بتصرف يسير، الطبعة السابقة .

(٣) المرجع السابق نفسه والصفحة والطبعة .

(٤) انظر الحديث في ص ٣٨٨ من البحث .

أما أن يتفصد جبينه عَرَقاً في اليوم الشديد البرد عند نزول الوحي، فهذا يدل على شدته، وعلى استجماع النبي ﷺ لكل طاقاته، وقُواه، وحواسه عند تلقي الوحي، وكأن أعضاءه أصبحت جميعها آذاناً تسمع، وقلوباً تعي .

فعند نزول الوحي على النبي ﷺ ما كان يغيب عن الوعي حتى ينسى الحدث الذي كان يعيشه قبل الوحي .

فقد جاء في صحيح البخاري عن صفوان بن يعلى بن أُمية أن يعلى كان يقول: ﴿ ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي، فلما كان النبي ﷺ بالجِعْرَانَة عليه ثوب قد أظل عليه ومعه ناس من أصحابه إذ جاءه رجل متضمخ بطيب فقال يا رسول الله: كيف ترى في رجل أحرم في جُبَّةٍ بعدما تضمخ بطيب فنظر النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يَعْلَى أن تعالى، فجاء يَعْلَى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة، ثم سُرِّي عنه، فقال: أين الذي يسألني عن العمرة آنفاً، فالتُمس الرجل فجيءَ به إلى النبي ﷺ فقال: أماَّ الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجُبَّة فانزعها، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك ﴾ (١) .

فهذا يدل على أن النبي ﷺ ما نَسِيَ الرجل، وما نَسِيَ سُؤَالهُ الذي كان يسأله قبل تلقي الوحي، بل كان ﷺ أشَدَّ التذكر بعد الوحي كقبله لا يغيب عنه شيء .

ومما يدل على أنه ﷺ كان في كامل وعيه لحظة نزول الوحي عليه ما جاء في صحيح البخاري في قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢) .

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: نزل القرآن بلسان قريش والعرب، انظر: صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص ٢٢٥، الطبعة السابقة .

(٢) سورة القيامة، الآيات (١٦ . ١٩) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرَّك به لسانه يُريد أن يحفظه فأنزل الله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴾ [1] .

وفي رواية أخرى: ﴿ كان رسول ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان مما يُحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يُعرف منه فأنزل الله الآية ... فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﴾ [2] .

فتحريك النبي ﷺ للسانه وشفتيه .كما جاء في الروايات . ومحاولته حفظ ما يُلقى إليه من وحي فور نزوله ...

علام يدل ذلك .....؟

يدل على أنه ﷺ في كامل وعيه أثناء تلقي الوحي، بدليل أنه يُريدُ أن يتلقى ويحفظ في آن واحد، أو يجمع بين التلقي والحفظ وهو أمر شاق على أي إنسان ... فما بالكم بوحي يتنزل من السماء بواسطة ملك من الملائكة .

فكيف يتأتى ذلك لمصروعٍ أو مُغَيبٍ عن الوعي ... حاشاه ﷺ .

كما أنه مطالب كذلك بأن يقرأه على مسامع الحاضرين مباشرة، وفور صعود جبريل عليه السلام، ليُوثَّقَ الوحيُ بالكتابة بواسطة كُتاَّب الوحي، وكل هذا يتطلب أن يكون ﷺ بكامل قواه، شديد التذكر لكل آية، وكل كَلمة نزلت وسمعها من جبريل لا تزيد حرفاً ولا تنقص .

روى الإمام البخاري . رحمه الله . عن البراء رضي الله عنه قال: ﴿ لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله، قال النبي ﷺ أُدع لي زيداً وليجيء

(١) رواه الإمام البخاري في كتاب: التفسير، سورة القيامة، صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص ٢١٠، الطبعة السابقة .

(٢) رواه الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب: التفسير، سورة القيامة، صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص ٢١٠، نقلته بتصرف يسير .

باللوح والدَّوَاةِ والكَتِف أو الكتف والدواة، ثم قال اكتب لا يستوي القاعدونَ وخلف ظهر النبي ﷺ عَمْرُو بن أُم مكتوم الأعمى، قال يا رسول الله فما تأمرني فإني رجل ضرير البصر فنزلت مكانها: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (١) .

فإذا كان هذا توثيقاً للقرآن الكريم عن طريق الكتابة لكل آية من آياته فور نزولها مباشرة؛ فقد كانت هناك طريقة أُخرى للتوثيق؛ أَلاَ وهي السماعُ والحفظ .

"فالحفظ كان العلاقة الأُولى بين المسلمين وبين كِتَابِ ربهم، وكان الحفظ له وسيلة واحدة ضرورية يُعتمد عليها، هي السَّماع، وهكذا وصل إلينا القرآن من بداية نزوله إلى نهايته، وأول سماع في حفظ القرآن كان من جبريل عليه السلام الذي وصفه الله بالأمين، وأول سامع كان رسول الله ﷺ سمع القرآن كله مرات من جبريل .

وثاني مُسمِّع كان هو ﷺ .

أما ثاني سامع للقرآن فهم كُتَّاب الوحي سمعوه من النبي ﷺ فور سماعه القرآن من جبريل .

ثم يشيع عن طريق السماع لا الكتابة ما نزل من القرآن بين المؤمنين إما من فم الرسول ﷺ أو من أفواه كُتَّاب الوحي" (٢) .

وبعـد ... فأقول هكذا نزل القرآن بواسطة جبريل وتحت سمع وبصر

---

(١) رواه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كاتب النبي ﷺ، انظر: صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج ٣ ص٢٢٦، والآية من سورة النساء (٩٥) .

(٢) انظر كتاب: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف المصرية، إشراف وتقديم: د/ محمود حمدي زقزوق، بحث للدكتور/ عبد العظيم المطعني، تحت عنوان: شبهة جمع القرآن، ص ١٦، طبع: مطابع الأهرام التجارية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م بتصرف يسير.

الجميع آية آية، وسورة سورة وبدقة شديدة حتى بعدم تحريك لسانه ﷺ عند نزوله، ليكتمل هذا العِقْد الكريم في ثلاث وعشرين سنة، هي مدة بعثته ﷺ موزعة على أماكن إقامته، وتنقلاته، وحِلِّهِ وتِرْحَالِهِ ﷺ .

وهذا يُدلِلُ وبوضح تام بطلان تلك الشبهة المُغْرضة، وأنه ﷺ ما كان في حالة صرع، ولا فاقداً للوعي عند تلقي الوحي، بل ذلك كله من صنع خيالهم المريض حقداً وحسداً على خلود القرآن الكريم، وحفظه ونصوعه .

الشبهة الثانية والرد عليهـا

الزعم بمحاولة النبي ﷺ التردي من أعالي الجبال لفتور الوحي وتأخره

هذه الشبهة أُثيرت لورود الخبر بها في صحيح الإمام البخاري دون التدقيق لمعرفة صحة إسناده أو ضعفه .

فقد جاء في هذا الخبر المُطول القول: ﴿ ثم لم ينشب ورقة أن تُوفي وفتر الوحي فترةً حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مِراراً كي يتردى من رُءُوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يُلقي منه نفسه تبدَّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك ﴾ [1] .

وقد علَّق الإمام ابن حجر في فتح الباري على هذا الخبر بقوله: "وقوله هنا: [فترةً حتى حَزِن النبي ﷺ فيما بلغنا] هذا وما بعده من زيادة مُعَمْر على رواية عقيل يونس، وصنيع المؤلف يُوهم أنه داخل في رواية عقيل ... والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية مُعَمْر ... ثم إن القائل [فيما بلغنا] هو الزهري، ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة هو من بلاغات الزهري وليس موصولاً، وقال الكرماني هذا هو الظاهر، ويحتمل أن يكون بلغهُ بالإسناد المذكور ... والأول هو المعتمد" [2].

□

(١) رواه البخاري في كتاب: التعبير، باب: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج ٤ ص ٢٠٨، الطبعة السابقة .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ج١٢ ص ٣٧٦ بتصرف كثير، الطبعة السابقة.

تعقـــــيب:

دَلَّ ما سبق من تعليق الإمام ابن حجر على أن هذا مجرد إبلاغ أو إخبار ولا يقوى بالمرة إلى حديث السيدة عائشة قوى السَّند في بدء الوحي [١] أو غيره . كما سأبين لاحقاً إن شاء الله . وليس في تلك الروايات هذه الزيادة والتي فتحت علينا أبواباً لم تُسد.

ويُسْتَدلُ على ذلك بلفظة جاءت في الخبر نفسه وهي "فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، [فقال له] النبي ﷺ ..." [٢] فجملة [فقال له] تدل على أن الكلام بطريق الإخبار، وإلا كان السياق [فقلت له] أو [فقلت] .

فأرى أن هذا التدقيق في غاية الأهمية لمن يتناولون هذا الموضوع، فبه تُنسف الشبهة نَسْفَاً، فحاشاه ﷺ أن يصنع ذلك، وكان على الكُتَّابِ المسلمين أن ينأوا بأنفسهم عن الحديث في هذا الموضوع مادام أنه لم يصح سنده لرسول الله ﷺ، لا أن يُقحموا أنفسهم في الدفاع عن النبي ﷺ، ولماذا أقدم على ذلك؟ وهل هذا ارتياب منه ﷺ في نبوته؟ أم ماذا؟ .... ويأخذهم الحديث أيَّما مأخذٍ في التبريرات والقيل والقال [٣] .

---

(١) انظر هذه الرواية للسيدة عائشة في ص ٣٨٣، ٣٨٤ من البحث .

(٢) صحيح البخاري بحاشية السِّندي، كتاب: التعبير، ج٤ ص ٢٠٨، الطبعة السابقة .

(٣) انظر ما جاء من تعليقات في هذا المقام ذكرها العلامة ابن حجر في كتابه [فتح الباري]، ج١٢ ص٣٧٧ [ربما من باب الأمانة العلمية]، وإن كان قد بيَّن قبلُ أن هذا من البلاغات وأنه ليس موصولاً فينقل عن الإسماعيلي قوله: (وأما إرادته إلقاء نفسه من رءوس الجبال بعد ما نبئ فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة، وخوفاً مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعاً) .

وكذلك ما جاء في هذا الموضوع أيضاً في كتاب [السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي]، د/ أحمد غلوش، في ص٣٢٥ مُصَدِّراً كلامه بقوله: (يتساءل البعض: كيف يجوز للنبي ﷺ أن يُفكِرَ في إلقاء نفسه من ذروة الجبل) . [وكأن هذا كان حاصلاً بالفعل] . ثم يُعقب بقوله: (إن ذلك كان هماً وليس قراراً) ثم يَصِيغُ ما جاء في فتح الباري بأسلوبه فيقول: (وكان يظن أن قوته عاجزة عن تحمل ما كان يتوقعه من أعباء النبوة)، وكذلك ذُكر هذا الموضوع في كتاب [حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين] في ص ٣٦٩ في الرد على شبهة صُدِّرت بعنوان [محاولة النبي محمد ﷺ الانتحار] بحث للدكتور/ عبد الصبور مرزوق، حيث لم=

أما إذا كان قد اعتراه ﷺ شيء من الحُزن لفتور الوحي وتأخره عنه بعد أنسه بجبريل عليه السلام، فهذا أمر طبيعي يُظهر بشريته ﷺ، ونفسه المرهفة، ومشاعره وأحاسيسه، بعد أن عاين الحق وتعلق به بعد طول تحنث في الغار .

ويعلق الدكتور/ رؤوف شلبي على تلك الرواية وخطرها على الثقافة الإسلامية فيقول: "ذلك الحديث الذي فيه النص السالف من طريق عبد الرازق عن معمر عن الزهري، وقد كان ينبغي محافظة على المفاهيم الإسلامية، عن التشويش أن يجتهد العلماء في الموازنة بين هذه الأسانيد، ويحذفوا ذلك النص، فليس فيه كثير غناء بله فيه كبير شفاء للثقافة الإسلامية والسيرة النبوية من

=يكتف في الرد ببيان وهن الرواية ليقتلع الأمر من جذوره، وكان ذلك كافياً جداً، لكنه أخذ أيضاً في سرد التبريرات في مثل قوله: (حاش أن يُقْدِمَ رسولُ الله . وهو إمام المؤمنين . على الانتحار، أو حتى على مجرد التفكير فيه)، وفي مثل (وعلى كُلٍ فإن محمداً كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً أو مدعياً للألوهية)، وفي مثل قوله في ص ٣٧٠: (ومن ثم فإذا أصابه بعض الحُزن أو الإحساس بمشاعر ما نُسميه . في علوم عصرنا . بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادي لا غبار عليه، لأنه من أعراض بشريته ﷺ) .

ثم يقول: وكأنه يتماشى مع كلمات الخبر وفيه (وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رءوس شواهق الجبال) [ص٤٣٩من البحث] فيقول: (وحين فتر [تأخر] الوحي بعد أن تعلَّقَ به رسول الله ﷺ كان يذهب إلى المكان الذي كان ينزل عليه الوحي فيه يستشرف لقاء جبريل، فهو مُحبٌ للمكان الذي جَمَعَ بينه وبين حبيبه بشيء من السَّكن والطمأنينة)، ثم يقول وكأنه يصرخ بأعلى صوته: (فماذا في ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمدٍ ﷺ في كل ما يأتي وما يدع؟) .

فيذكر أنه كان يستشرف لقاء جبريل مع إن تكملة الخبر تقول: (فكلما أوفى بذروة جبل لكي يُلقي منه نفسه تبدى له جبريل ....) ص ٧١ فكيف يذهب إلى المكان لمحاولة لقاء جبريل مع إن الخبر يقول إن جبريل كان === === يلقاه في كل مرة فكان الأَولى . من وجهة نظري . صرف النظر بالمرَّة عن هذا الخبر وتبريراته حتى لا تَتْرُكَ مجالاً للشك أو الريبة في قلوب وعقول شبابنا، خاصة وأن هذه الرواية أو هذا الخبر .كما يقول د/ أبو شهبة: (ليست على شرط الصحيح لأنها من البلاغات وهي من قبيل المنقطع، والمنقطع من أنواع الضعيف، والبخاري لا يخرّج إلا الأحاديث المُسْنَدة المتصلة برواية العدول الضابطين ولعلَّ البخاري ذكرها ليُنبهَنا إلى مخالفتها لما صَحَّ عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تذكر فيه هذه الزيادة)، بشائر النبوة، د/ رؤوف شلبي، ص ٣٢٦، نقلاً عن: د/ محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ص ٢٦٨.

الزيغ والوسوسة" [١] .

وعن ضرورة حذف مثل تلك الروايات، أو بيان ضعفها وتمحيص أسانيدها يقول: "وهذا ما كنت أوده من شيوخنا القُدامى في كتبهم الجليلة التي تُعد كزاد للمسلم خاصة في التفكير والبحث" [٢] .

وبالتالي لا يُعتد برواية وصلت إلينا عن طريق الإخبار، وليست وثيقة السند برسول الله ﷺ، خاصة وأن في غيرها الكفاية في هذا الباب .

فقد ورد الحديث في بدء الوحي على رسول الله ﷺ وفتوره وليس فيه هذه الزيادة الواردة في ذلك الخبر الذي سَبَّبَ ارتباكاً لكثيرين ممن كتبوا في هذا الموضوع .

ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: ﴿ فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رُعباً فرجعت فقلت: زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ إلى ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ ﴾ [٣] .

وفي حديث آخر عن جابر أيضاً أنه سمع رسول الله ﷺ يُحَدِّثُ عن فترة الوحي: ﴿ فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قِبَلَ السَّماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾ ... ثم حَمِيَ الوحي

(١) بشائر النبوة، د/ رؤوف شلبي، ص ٣٢٣، الطبعة السابقة .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٢٦ والطبعة .

(٣) رواه الإمام البخاري في كتاب: التفسير، سورة المدثر، صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص ٢٠٩ وما بعدها، الطبعة السابقة .

وتتابع ﷺ [١] .

فما في هذه الروايات الصحيحة وأمثالها مغنٍ وكافٍ عن تلك الرواية، موضع الشبهة، التي ما أُثيرت إلا لزعزعة الثقة في رسول الأُمة ﷺ، وخلق فجوة بين الأُمة ونبيها ﷺ تُفضي في النهاية إلى النيل من الإسلام نفسه كدينٍ يتغلغل بين الأوساط كافة بقوته الذاتية، خاصة في بلاد الغرب التي لا يتمتع فيها بأي نفوذ سياسي كان، أو اقتصادي، أو حتى إعلامي، وصدق ربنا إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [٢] .

وبعـد ... فتلك رحلة قرآنية علمية صُلْتُ فيها وجُلْتُ بين القرآن والسنة، وسيرة النبي الأمين ﷺ، لاستخراج العبر والعظات، ودفع الشبهات، وإبراز الدلالات الدعوية في فتور الوحي عن سيد البرية ﷺ، فما أنزل الله الوحي إلاَّ بحكمة، وما حجبه إلاَّ لحكمة، وصدق القرآن إذ يقول الله فيه: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [٣] .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [٤].

(١) رواه البخاري في كتاب: التفسير، سورة المدثر، صحيح البخاري بحاشية السِّندي، ج٣ ص ٢٠٩، الطبعة السابقة .

(٢) سورة التوبة، الآية (٦١) .

(٣) سورة مريم، الآية (٦٤)

(٤) سورة النجم، الآيات (٣ . ٥) .

والله أسأل أن يُسطر هذا العمل في صحائف أعمالنا، وأعمال آبائنا وأُمهاتنا ومشايخنا، ومن له حق علينا، وأن يثقل به موازيننا، وأن يبارك به في أولادنا، ويشرح به صدورنا، ويُزكي به نفوسنا، وأن يكون سبباً في شفائنا ومُعَافاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه ... وَسَلامٌ على المرسلين والحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين .

الخـاتمـــة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ النبي الأُمي وعلى آله وصحبه ومن بهم اهتدى وبأثرهم اقتفى ...

وبعـــد؛؛؛

فبعد هذه الجولة، وهذا التطواف، من خلال هذا البحث المتواضع عن (**الدلالة الدعوية في فتور الوحي عن سيد البرية ﷺ**) .

يطيب لي أن أُسجل ما فتح الله به عليَّ من نتائج وتوصيات لعل فيها النفع والعبر والعظات .

أولاً: النتـائـــج:

(١) فتور الوحي كان في أوج بعثته ﷺ، أما قُبيل وفاته لم يفتُر، بل قوي وتتابع .

(٢) في تحنث النبي ﷺ كان الاختلاف بين العلماء في [الشرع] محل التعبد، وليس [الملة]، فقد كان على ملة الأنبياء والمرسلين، ملة أبيه إبراهيم .

(٣) أول فتور للوحي كان بعد نزول قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ ، وأول ما نزل بعد هذا الفتور قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ فـ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ أول ما نزل من الوحي على الإطلاق .

(٤) في اختلاف الآراء حول مدة فتور الوحي بين (اقرأ) و (المدثر) يدل على قصرها لا طولها، إذ لو طال الفتور لشاع بين الناس، ولما كان محل خلاف بينهم .

(٥) تأخرت سورة المزمل عن المدثر في النزول على أرجح الأقوال لما فيها من الأمر بقيام الليل على عكس المدثر ففيها الأمر بالإنذار .

(٦) في ترقب الناس للوحي عند نزول سورة الضحى يدل على ما أحدثه

الوحي من دويٍّ وصدى بين الناس مؤمنهم وكافرهم على السواء .

(٧) ضربت السيدة خديجة رضي الله عنها أروع المثل في مؤازرة الزوجة لزوجها، وقدمت نموذجاً عملياً للزوجات في هذا الشأن .

(٨) اختص الله القرآن الكريم بصورة واحدة ـ فقط ـ من صور الوحي ألا وهي التلقي عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام، فلم يكن وحياً منامياً أو من وراء حجاب .

(٩) القرآن الكريم لفظاً ومعنى من عند الله .

(١٠) النبوة والرسالة لا يتجزأن بالنسبة للنبي ﷺ، فهو نبي ورسول منذ أول آية نزلت عليه ﷺ .

(١١) في تأخر الوحي وفتوره دلالة كُبرى على صدقه وصدق من نزل عليه حتى ولو في أخص خصوصياته ﷺ .

(١٢) نموذج من نماذج فتور الوحي كان بخصوص أدب رفيع للأمة في شخص نبيها ﷺ، ألا وهو أدب (المشيئة] وجعلها جزءاً من ثقافة المسلم بل من عقيدته .

(١٣) سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه ـ كعادته ـ نموذج يحتذى في كظم الغيظ والامتثال لأمر الله .

(١٤) دلت الروايات الصحيحة عند نزول الوحي على وعيه ﷺ وشدة تذكره، وكذا تفاعله أثناء تلقي الوحي بمحاولة تحريك لسانه لترديد الوحي وحفظه ـ دلت ـ على أنه ﷺ لم يفقد وعيه أبداً أثناء تلقي الوحي أو بعده .

(١٥) خبر محاولة التردي من أعالي الجبال لفتور الوحي؛ شبهة يجب التركيز في ردها على بيان أصل الخبر وصحته، وعدم البحث عن تبريرات تُوحي بالتسليم بما قيل في ذلك .

ثانياً: التـوصيـــات:

(١) ضرورة الاهتمام بالدلالات الدعوية في موضوع [فتور الوحي] وإظهارها، وعدم إغفالها، ففيها الكثير والكثير من العبر والعظات .

(٢) غرس [ثقافة المشيئة] في الأُمة، وجعلها عقيدة فلأجلها تأخر الوحي عن النبي ﷺ في سورة من سور القرآن الكريم .

(٣) ضرورة الاهتمام بالدراسات القرآنية والحديثية، واستخراج ما فيها من دروس دعوية.

(٤) الاهتمام بالرد على الإشاعات أولاً بأول، وتنقية المجتمع من شرورها وآثامها .

(٥) ضرورة توفر مجموعة من الباحثين في قسم الثقافة الإسلامية لتنقيح كتب التراث من بعض ما جاء فيها من أخبار غير دقيقة، أو غير صحيحة لما قد تشكله من خطورة على الثقافة الإسلامية، وعلى الفكر الإسلامي بشكل عام .

(٦) ضرورة توفر مجموعة من المتخصصين لبحث ودراسة ما جاء في الموسوعة البريطانية، خاصة ما يتعلق منها بالدراسات الإسلامية على وجه الخصوص .

(٧) يمكن تقسيم الموسوعة البريطانية إلى حِقَبٍ زمنية وأخذها كمشروع بحثي لطلاب الماجستير والدكتوراه .

وأسأل الله أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزدنا علماً، وأن يجعل هذا العمل في موازين حسناتنا يوم أن نلقاه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [١] .

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

❁ ❁ ❁

(١) سورة الشعراء، الآيتان (٨٨، ٨٩) .

أهـم المراجـــع

- القرآن الكريم .
- الإتقان في علوم القرآن: شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، طبع دار عالم المعرفة، بدون تاريخ طبع .
- بشائر النبوة الخاتمة: د/ رءوف شلبي، طبع دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- تفسير القرآن العظيم: للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ طبع .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلان المنان: الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي، قدم له: الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، طبع دار البيان الحديثة، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .
- الجامع لأحكام القرآن: للإمام/ عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية، ط (١)، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م .
- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، إشراف وتقديم: د/ محمود حمدي زقزوق، طبع مطابع الأهرام التجارية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .
- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها: د/ رءوف شلبي، طبع دار القلم، الكويت ، ط(٣)، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، طبع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط (٥)، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .
- زاد المعاد: للإمام/ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، راجعه وقدم له" طه عبد الرؤوف طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
- السيرة النبوية: لابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري،

قدم لها وعلق عليها وضبطها: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ طبع .

- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي: د/ أحمد أحمد غلوش، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .
- صحيح الإمام البخاري بحاشية السِّندي: للعلامة: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، بدون تاريخ طبع .
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محيي الدين الخطيب، ترقيم أبوابه: الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه: قصي محيي الدين الخطيب، طبع دار الريان للتراث، القاهرة، ط(١)، ١٩٧٦م، وطبعة أخرى طبع دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م .
- فتح الباري على مختصر البخاري حاشية على التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح: للزبيدي، د/ محمد يسري، طبع دار النشر، القاهرة، ط (١)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .
- فقه السيرة: الشيخ/ محمد الغزالي، دار الحصري للطباعة، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- فقه السيرة النبوية: د/ محمد سعيد رمضان البوطي، طبع دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، بالاتفاق مع دار الفكر دمشق، الطبعة الخامسة والعشرون، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م .
- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: د/ فضل حسن عباس، في ترجمة لنص الموسوعة البريطانية، إصدار: ١٩٩٩م، طبع دار الفتح، عمان، الأردن، ط (٣)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
- لسان العرب: العلامة/ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن

منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ طبع .

- مباحث في علوم القرآن، الأستاذ: مناع خليل القطان، مطبعة المدني، القاهرة، ط (١٠)، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .
- مختار الصحاح: للإمام/ ابن أبي بكر عبد القادر الرازي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، بدون تاريخ طبع .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٨٤م .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: أشرف على جمعه: إبراهيم مصطفى، وحامد عبد القادر، وأحمد حسن الزيات، ومحمد علي النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية، طهران، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، بدون تاريخ طبع .
- مناهج البحث العلمي: د/ حلمي عبد المنعم صابر، طبع: إيجبت استار للطباعة، مصر، ط (٢)، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .
- منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة: د/ محمد أمحزون، طبع دار السلام للطباعة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م .
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: الشيخ/ محمد الخضري، حققه وعلق عليه: الشيخ/ نايف عباس، ومحيي الدين مستو، بدون ذكر المطبعة أو تاريخ الطبع

مواقع على الإنترنت:

- موسوعة ويكيبيديا .
- البوابة العربية للأخبار .
- موقع اليوم السابع .

❁ ❁ ❁

الفهـرســـت

Contents

ملخـص البحـث ٣٥٣
المقدمـــة ٣٥٥
التمهيـــد ٣٦٠
المبحـث الأول ٣٧٠
تحنث النبي ﷺ وبدء الوحي وصوره **٣٧٠**
المطلب الأول ٣٧١
تحنث النبي ﷺ في الغـار ٣٧١
المطلب الثاني ٣٨٣
بـدء الوحي وصـوره ٣٨٣
المبحـث الثانـي **٣٩٣**
نماذج من فتور الوحي عن النبي ﷺ **٣٩٣**
المطلـب الأول ٣٩٤
فتور الوحي بين (اقرأ) و(المدثر) ودلالته الدعوية ٣٩٤
المطلب الثاني ٤٠٤
فتور الوحي عند نزول سورة الضُحى ودلالته الدعويـة ٤٠٤
المطلب الثالث ٤١٠
نموذج من فتور الوحي في سورة الكهـف ٤١٠
المطلب الرابع ٤١٧
نموذج من فتور الوحي في سورة النور ودلالته الدعوية ٤١٧
المبحث الثالث **٤٣١**
شُبهات حول فتور الوحي وصوره والرد عليها **٤٣١**
الشبهة الأُولى والرد عليها ٤٣٢

الزعم بفقدان النبي ﷺ للوعي وقت نزول الوحي وبعده ٤٣٢
الشبهة الثانية والرد عليهـا ٤٣٨
الزعم بمحاولة النبي ﷺ التردي من أعالي الجبال لفتور الوحي وتأخره ٤٣٨
الخاتمـــة **٤٤٤**
أولاً: النتـائـــج: **٤٤٤**
ثانياً: التـوصيـــات: **٤٤٦**
أهـم المراجـــع **٤٤٧**
الفهـــرســـت **٤٥٠**